

مَجَلـة شَهـريَّـة اسْلاميَّـة أَدبيَّـة

تصدر عن دار التأليف والترجمة، بنارس

المجلد (٤٧)	ربيع الآخر ١٤٣٦هـ
العدد الثاني	فبراير ٢٠١٥ م

☆ عنوان المراسلة:	صــوت الأمـة: بى ١ / ١٨ جى، ريورى تالاب، بنارس، الهند The Editor, Sautul Ummah B-18/1-G, Reori Talab, VARANASI - 221010 (INDIA)
☆ تـرسـل شيـكات الاشتراک بهذا الاسم:	دار التاليف والترجمة Name: **DARUT-TALEEF WAT-TARJAMA** Bank: **ALLAHABAD BANK**, Kamachha, VARANASI A/c No.: **21044906358** IFSC Code: **ALLA0210547**
☆ الاشتراک السنوي:	في الـهـند (١٥٠) روبيــة، في الخارج (٤٠) دولار بالبريد الجوي، ثمن النسخــة (١٥) روبيــة

موقع المجلة على الانترنت: www.sautulummah.org

محتـــويــــــات الـعــــدد

الافتتاحية

الحاجة إلى تدبر القرآن وفهمه واتباعه وعدم الاكتفاء بتلاوته وحفظه وتحفيظه

(٤) أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

حق التلاوة:

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله سبحانه: {الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته، أولئك يؤمنون به – البقرة: ١٢١} قال ابن مسعود: "والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه، ويقرأه كما أنزله الله، ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئا على غير تأويله". وعن عمر بن الخطاب: "هم الذين إذا مروا بآية رحمة سألوها من الله، وإذا مروا بآية عذاب استعاذوا منها ...." [(١)].

قال الشيخ سعد الحصين بعد نقل الكلام المذكور في تفسير هذه الآية:

"ولم يفسرها أحد من الفقهاء في الدين بالتجويد أو الحفظ مجردا عن التدبر".

وقال بعد ذكر حديث: سيخرج في آخر الزمان قوم ..... يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم .... الخ:

"فمجرد التلاوة والحفظ دون تدبر (وهو أكبر همّ الحفاظ والمحفظين اليوم) مخالف لشرع الله ولسنة رسوله ولسبيل المؤمنين القدوة، لجأ إليه الأعاجم بمسوغ العجمة، وتبعهم العرب في القرن الأخير دون مسوغ". [(٢)]

وقال الشيخ صالح الفوزان بعد أن تحدث عن تعلم القرآن وتلاوته وعن التدبر والتفكر في معانيه وأسراره:

"لا يكفي منا أن نتعلم القرآن وأن نتلو القرآن وأن نتدبر القرآن، بل لابد من الأمر الرابع، وهو العمل به، بمعنى أن نحل حلاله ونحرم حرامه، ونتقيد بأوامره ونتجنب ما نهانا عنه.

---

(١) تفسير ابن كثير: ١ / ٢٢٦.

(٢) انظر: مجلة صوت الأمة: صفر ١٤٣٠ هـ، ص: ٣٣، ٣٥.

وهذا هو المقصود، وما سبق من تعلمه وتلاوته وتدبره كله وسيلة إلى العمل. أما إذا اقتصرنا على التلاوة والتدبر وتركنا العمل فإننا وقفنا في أول الطريق ولم نحصل على شيء، وصار تعبنا لا فائدة منه، لأننا أتعبنا أنفسنا في السبب وتركنا الثمرة. لأن الثمرة هي العمل بالقرآن.

قال الله سبحانه وتعالى: {إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور. ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور – فاطر: ٢٩ – ٣٠}.

فهذه الآية دلت على أنهم لم يقتصروا على التلاوة، بل أقاموا الصلاة بعد أن قاموا بتلاوة كتاب الله، وكذلك أنفقوا مما رزقهم الله بإيتاء الزكاة والصدقات والإحسان إلى المخلوقين، وهذه هي ثمرة التلاوة، وهي العمل بما فيه ...." [١].

ويقول الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر:

"فحامل القرآن يجعل القرآن دليله إلى كل خير، ورائده إلى كل خلق حسن جميل، حافظا لجميع جوارحه عما نهى الله عنه، إن مشى مشى بعلم، وإن قعد قعد بعلم، وإن تكلم تكلم بعلم، وإن شرب شرب بعلم، وإن أكل أكل بعلم، يتصفح القرآن ويقرؤه ليؤدب نفسه، وليهذب به سلوكه، وليزين به عمله، وليقوي به إيمانه. لهذا أنزل القرآن الكريم، ولم ينزل للقراءة والتلاوة فقط بدون العلم والعمل".[٢]

ونقل الشيخ عن الآجري قوله في "أخلاق حملة القرآن":

"فالمؤمن من العاقل إذا تلا القرآن استعرض القرآن، فكان كالمرآة يرى بها ما حسن من فعله وما قبح منه، فما حذّره مولاه حذِره، وما خوفه به من عقابه خافه، وما رغبه فيه مولاه رغب فيه ورجاه، فمن كانت هذه صفته أو ما قارب هذه الصفة فقد تلاه حق تلاوته، ورعاه حق رعايته، وكان له القرآن شاهدا وشفيعا وأنيسا وحرزا،

---

[١] محاضرات في العقيدة والدعوة، للدكتور صالح بن فوزان الفوزان: ٢ / ٣٠٢.

[٢] فقه الأدعية والأذكار: ١ / ٧٧ – ٧٨.

ومن كان هذا وصفه نفع نفسه، ونفع أهله، وعاد على والديه وعلى ولده كل خير في الدنيا والآخرة" [١].

مدلول الترتيل:

لا شك أن ترتيل القرآن مأمور به شرعا، ومعمول به سلفا وخلفا، قال سبحانه: {ورتل القرآن ترتيلا – المزمل: ٤} والترتيل كما أنه متعلق بالحروف والكلمات فكذلك له علاقة قوية بالمعاني والأفكار، لأن الترتيل طريق إلى التدبر والخشوع والتأثر، وكل هذه من مقتضيات القرآن وتلاوته.

قال الإمام الرازي:

"الترتيل: هو أن يذكر الحروف والكلمات مبينة ظاهرة. والفائدة فيه: أنه إذا وقعت القراءة على هذا الوجه فهم من نفسه معاني تلك الألفاظ، وأفهم غيره تلك المعاني، وإذا قرأها بالسرعة لم يَفهم، ولم يُفهم، فكان الترتيل أولى". [٢]

وفي التسهيل لعلوم التنزيل:

"الترتيل: هو التمهل، والمد، وإشباع الحركات، وبيان الحروف، وذلك معين على التفكر في معاني القرآن، بخلاف الهذر الذي لا يفقه صاحبه ما يقول" [٣].

وقد امتثل النبي صلى الله عليه وسلم أمر ربه جل وعلا، فكان يرتل القرآن ترتيلا، فكيف كان ترتيله؟ وماذا استنبط منه المستنبطون؟

تقول حفصة رضي الله عنها عن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم: كان يقرأ بالسورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها. [٤]

وعن قتادة قال: سئل أنس:

كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقال: كانت مدا [٥] أي ذات مد.

---

[١] المصدر نفسه: ١ / ٧٩، وانظر: أخلاق حملة القرآن للآجري، ص: ٢٩ – ٣٠.
[٢] مفاتيح الغيب: ١ / ٦٩.
[٣] التسهيل لعلوم التنزيل: ٢ / ٤٢٣.
[٤] صحيح مسلم: ٧٣٣.
[٥] صحيح البخاري: ٥٠٤٦.

قال العلامة السندي في شرح سنن النسائي:

"أي يطيل الحروف الصالحة للإطالة، يستعين بها على التدبر والتفكر، وتذكير من يتذكر". [١]

وقال الشيخ محمد الأيتوبي في شرح هذا الحديث:

"والحكمة في المد في القراءة الاستعانة على تدبر المعاني والتفكر فيها وتذكير من يتذكر" [٢].

تحسين الصوت بالقرآن:

وكما أن الترتيل طريق موصل إلى الخشوع والتدبر والتفكر فكذلك ما ورد في أحاديث عديدة من الترغيب في تحسين الصوت بالقرآن والتغني به، مثل قوله عليه الصلاة والسلام: "زينوا القرآن بأصواتكم" [٣] وقوله: "ليس منا من لم يتغن بالقرآن". [٤]

فليس المراد من هذا التحسين والتزيين هو التلذذ بالأصوات والألحان، بل لأجل أنه موصل إلى القلب وأدعى للتفكر والتدبر والفهم.

وقد تعجب الإمام الطبري رحمه الله ممن أراد التلذذ بقراءة القرآن وهو لا يعرف معانيه، فقال:

"إني أعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله، كيف يلتذ بقراءته"؟ [٥]

ونقل العلامة ابن القيم الحكمة من تزيين القرآن بالصوت عن بعض العلماء فقال:

"لأن تزيينه، وتحسين الصوت به، والتطريب بقراءته أوقع في النفوس، وأدعى إلى الاستماع والإصغاء إليه. ففيه تنفيذ للفظه إلى الأسماع، ومعانيه إلى القلوب. وذلك عون على المقصود. وهو بمنزلة الحلاوة التي تجعل في الدواء لتنفذه إلى موضع الداء ...". [٦]

---

[١] حاشية السندي على النسائي: ٢ / ١٧٩.

[٢] شرح سنن النسائي لمحمد الايتوبي الولّي: ١٣ / ٩، رقم الحديث: ١٠١٤، نقلا عن: المنهل العذب المورود: ٨ / ١٢٤ – ١٢٥.

[٣] رواه أبوداود وصححه الألباني (١٤٦٨).

[٤] رواه البخاري: ٧٥٢٧.

[٥] معجم الأدباء: ٦ / ٢٤٥٣.

[٦] زاد المعاد: ١ / ٤٧١.

ويقول الدكتور محمود الدوسري:

"والمقصود الأعظم من تحسين الصوت: هو أن يكون قنطرة إلى تدبر القرآن وتفهمه، والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة". [١]

الاستماع من الغير للفهم والتدبر:

روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأ علي، قال: أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: فإني أحب أن أسمعه من غيري. فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت: {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا – النساء: ٤١} قال: أمسك (أي توقف عن القراءة) فإذا عيناه تذرفان[٢].

قال الإمام النووي: فيه استحباب استماع القراءة والإصغاء إليها، والبكاء عندها، وتدبرها، واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمع إليه. وهو أبلغ في التفهم والتدبر من قراءته بنفسه. [٣]

وقال ابن بطال:

يحتمل أن يكون أحب أن يسمعه من غيره ليكون عرض القرآن سنة، ويحتمل أن يكون لكي يتدبره ويتفهمه، وذلك أن المستمع أقوى على التدبر ونفسه أخلى وأنشط لذلك من القارئ، لانشغاله بالقراءة وأحكامها. [٤]

القرآن حجة لك أو عليك:

روى أبو مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "....والقرآن حجة لك أو عليك" [٥].

---

[١] هجر القرآن العظيم، ص: ٤٠٣.

[٢] رواه البخاري ومسلم.

[٣] شرح صحيح مسلم: ٦ / ٣٢٩.

[٤] فتح الباري: ٩ / ١١٧.

[٥] صحيح مسلم: ٢٢٣.

ومعناه ظاهر – كما قال الإمام النووي – "أي: تنتفع به إن تلوته وعملت به، وإلا فهو حجة عليك". [١]

فقوله: "إن تلوته وعملت به" يوضح معنى هذه الجملة، فالمطلوب أن يصحب التلاوة العمل أيضا، فلا يكفي مجرد التلاوة للنجاح والنجاة، بل الاكتفاء بالتلاوة وترديد الحروف والكلمات مع إغفال جانب التطبيق والعمل يؤدي إلى أن يصبح القرآن حجة على قارئه وتاليه، بل الإنسان الذي قد يغفل عن مجرد التلاوة أو يجهلها يكون في مأمن من هذا التهديد أو أن إثمه أخف من ذلك القارئ المتلبس بالمعاصي.

يقول الإمام القرطبي رحمه الله:

"ألا وإن الحجة على من علمه فأغفله، أو كد منها على من قصر عنه وجهله، ومن أوتي علم القرآن فلم ينتفع، وزجرته نواهيه فلم يرتدع، وارتكب من المآثم قبيحا، ومن الجرائم فضوحا، كان القرآن حجة عليه، وخصما لديه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: القرآن حجة لك أو عليك" خرجه مسلم. [٢]

ويقول الشيخ محمد بن جميل زينو:

"هذا الحديث (القرآن حجة لك أو عليك) يقسم القراء إلى قسمين:

١ – القارئ الذي يقرأ القرآن ويكون حجة له يوم القيامة هو الذي يعمل بأوامره، ويبتعد عن نواهيه، فيحل حلاله ويحرم حرامه، ويحكم به، ويتحاكم إليه، ويرضى بحكمه، ويتدبر معانيه، عملا بقوله تعالى: {كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب – ص: ٢٩) ويكثر من تلاوته وحفظه وسماعه من غيره ... .

٢ – القارئ الذي يقرأ القرآن ويكون حجة عليه هو الذي لا يعمل بأوامره، ولا يبتعد عن نواهيه، ولا يحل حلاله ولا يحرم حرامه، ولا يحكم به، ولا يتحاكم إليه، ولا يرضى بحكمه، ولا يهمه فهمه وتدبره وتطبيقه، فإذا قرأ أو سمع قوله تعالى: {ثم

---

[١] شرح النووي على مسلم: ٣ / ١٠٢.

[٢] مقدمة تفسير القرطبي، ص: ٢٦ – ٢٧.

نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين – آل عمران: ٦١} فنرى هذا القارئ يكذب على الناس في حديثه، ووعده، ومعاملاته، وعقوده، .... .

فعليك يا أخي المسلم أن تعمل بما تقرأ وتسمع حتى يكون القرآن حجة لك لا عليك، ولاسيما حفظة القرآن والمشتغلين بعلومه وتفسيره، فكثير من حفظة القرآن ومفسريه لا يتقيدون بتعاليمه وآدابه.

وهناك من الرجال من يحفظ القرآن، ويشتغل بتفسيره مدة طويلة، ولكنه لا يتورع عن الكذب ورمي إخوانه بأقبح الخصال، والفحش من الكلام، دون سبب موجب، .... فماذا استفاد هذا الرجل من حفظه للقرآن وتفسيره؟ ولا شك أنه سيكون حجة عليه، كما ورد عن الصادق المصدوق: "والقرآن حجة لك أو عليك" رواه مسلم. [1]

وهناك نذكر ذلك الأثر الذي جاء فيه عن بعض الأفاضل قوله: "رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه" فهو يحكي قصة أولئك المساكين الذين لا يهمهم إلا أداء كلمات القرآن والنطق بحروفه من غير تدبر وفهم لمدلولاته ومعانيه، ومن غير عناية بما يتطلبه هذا الكتاب من امتثال أوامره واجتناب نواهيه. فهو يقرأ فيما يقرأ في القرآن قوله تعالى: {فنجعل لعنت الله على الكاذبين – آل عمران: ٦١} ولكن لا يرتدع عن الكذب، بل هو متعود عليه وواقع فيه والعياذ بالله. وذلك يعني أنه حينما يردد الآية المذكورة المشتملة على إيقاع لعنة الله على الكاذبين فهو يعرض نفسه ليكون من مستحقي هذه اللعنة. وهكذا قوله تعالى: {لعنة الله على الظالمين – الأعراف: ٤٤} بالنسبة لذلك القارئ الذي يقترف الظلم ويرتكبه، ولا يتورع عنه في حين أنه يتلو هذه الآية فيما يتلو من القرآن.

قال الغزالي في إحياء العلوم:

"قال بعض السلف: إن العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها، وإن العبد ليفتتح سورة فتلعنه الملائكة حتى يفرغ منها. فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: إذا أحل حلالها، وحرم حرامها صلت عليه، وإلا لعنته.

---

[1] كيف نفهم القرآن، لمحمد بن جميل زينو، ص: ٧٥ – ٧٧ باختصار.

وقال بعض العلماء: إن المرء ليتلو القرآن فيلعن نفسه، وهو لا يعلم. يقول: ألا لعنة الله على الظالمين، وهو ظالم نفسه، ألا لعنة الله على الكاذبين، وهو منهم [١].

وهذا معنى قول أنس بن مالك رضي الله عنه: رب قارئ للقرآن والقرآن يلعنه.

وقال الغزالي أيضا:

"ومثال العاصي إذا قرأ القرآن وكرره: مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات، وقد كتب إليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها، ومقتصر على دراسة كتابه، فاعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت. ولذلك قال يوسف بن أسباط: إني لأهم بقراءة القرآن، فإذا ذكرت ما فيه خشيت المقت، فأعدل إلى التسبيح والاستغفار.

.... قال بعض القراء: قرأت القرآن على شيخ لي، ثم رجعت لأقرأ ثانيا، فانتهرني وقال: جعلت القراءة علي عملا؟ اذهب فاقرأ على الله عز وجل، فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهاك؟" [٢]

"وأسفاه! لما تغير وجه الزمان بتغير بني الإنسان حيث سقطت الهمم، وقل العمل، وغلب الكسل، جاء دور الانحطاط، حيث انتشر الفساد، وتغيرت المفاهيم، واختلفت الوسائل، وافترق العلم عن العمل، ووجدت طبقات من القراء فرقوا بين حفظ القرآن واتقانه، وبين فقهه والعمل بما فيه، حتى أصبح القراء وكأنهم صناع، أكثرهم لا يفقهون معاني ما يقرأون، والناس أصبحوا لا يستعذبون ولا يستنكرون أن يروا قارئا لا فقه له، ولا يعلم شيئا مما يقرأ، وكأن القراءة أصبحت حرفة عند بعض هؤلاء". [٣]

(يتبع)



---

[١] إحياء علوم الدين: ١ / ٢٧٥.

[٢] إحياء علوم الدين: ١ / ٢٨٦.

[٣] القرآن: أنواهر، آثاره، أوصافه .... لمحمد محمود الصواف، ص: ٢٩ – ٣٠.

الأخلاق الإسلامية

آداب البحث والمناظرة

أحمد بن محمد عمر الأنصاري

لكي تتسم المناظرة والبحث بالموضوعية التامة فلابد للمتناظرين أن يلتزما آدابا وأخلاقا تحفظ للمناظرة سلامتها وتحقق الغرض المنشود منها، فإذا التزم المتناظران بهذه الآداب فإنهما سيضمنان بإذن الله لأنفسهما مناظرة قويمة تتسم بنوع من العصمة وستؤتي تلك المناظرة ثمارها اليانعة في جو ودي أخوي بعيد عن التعصب والشحن النفسي الذي يشبه الشحن الذي يلاقيه الجنود الذين يقبلون على معركة مجهولة المعالم.

وهذه الآداب – التي وضعها العلماء لحماية المتناظرين من الوقوع في الزلل وما يشين الندوات العلمية والمناظرات الجدلية التي تنشد الحق وترغب التوصل إلى أصح النتائج – كثيرة، لعل من أهمها ما يلي:

١ – أن يقصد المناظر بمناظرته وجه الله تعالى والدار الآخرة، لأن الأمور بمقاصدها، والأعمال بالنيات، كما أخبر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: {فمن كان يرجو لقاء ربه، فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا} [(١)].

والمناظرة لا تخرج عن كونها عملا من الأعمال التي يقوم بها العبد، ولابد من النية الصالحة فيها حتى يثاب عليها العبد، وقال عليه الصلاة والسلام في الحديث المتفق عليه: "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ... الحديث" [(٢)].

فإذا راعى المتناظران وجه الله بمناظرتهما فهي جديرة بالسداد والتوفيق.

[(١)] سورة الكهف: ١١٠.

[(٢)] رواه البخاري في كتاب بدء الوحي باب "١" انظر فتح الباري: ١ / ٩، ومسلم في كتاب الإمارة باب "٤٥": ٣ / ١٥١٥ – ١٥١٦.

٢ – أن يبتعد المناظر عن الأخلاق السيئة والصفات الذميمة التي يجرها حب الذات والانتصار للنفس كالحسد، والتكبر، والترفع على الناس، والحقد، والغيبة – التي لا ينفك عنها ضعاف النفوس إذ يتخذونها وسيلة للتنقص من الخصم وازدرائه وحكاية ما يدل على قصور كلام خصمه وعجزه ونقصان فضله – والتجسس وتتبع عورات الناس، فالمغرض من المناظرين لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه والبحث عن بواطن أحوال قرينه، حتى يعدها ذخيرة لنفسه في فضيحته وتخجيله إذا مست إليه حاجة – والفرح لمساءة الناس والغم لمسارهم – إذ يصعب على من طلب المباهاة بإظهار الفضل لا محالة أن يعامل أقرانه كما يحب أن يعامل هو كما أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن ذلك من تمام الإيمان – والنفاق الذي قد يضطر إليه من أراد الظهور حين يلقى الخصوم ومحبيهم وأشياعهم فلا يجد بدا من التودد إليهم باللسان وإظهار الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم مع ما يخفيه من الحقد والكراهية – والاستكبار عن الحق والحرص على المماراة والرياء وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم، فإن الرياء هو الداء العضال الذي يدعو إلى أكبر الكبائر [1].

وغير ذلك من سيء الأخلاق والصفات التي ينأى عنها العلماء وطلبة العلم والذين لا يخرج المناظر عن كونه واحدا منهم، فإن الإسلام قد حرم هذه الأخلاق السيئة على عامة المسلمين، فكيف يحلها للعلماء ورؤوس المسلمين!

٣ – أن تكون المناظرة في الخلوة أحب إلى المناظر من المناظرة في المحافل وبين أظهر الأكابر والسلاطين، فإن الخلوة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق، وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء، ويوجب الحرص على نصرة كل واحد لنفسه، محقا كان أو مبطلا.

---

[1] انظر: إحياء علوم الدين: ١ / ٤٥ – ٤٨.

٤ – أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة، لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على من يعاونه رفيقا معينا لا خصما عنيدا، ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق، ولا يكون كحال من يسوّد وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان مناظره ويخجل ويجتهد في مجاحدته بأقصى قدرته ويذم من أفحمه طول عمره.

٥ – أن لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ومن إشكال إلى إشكال، ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدال المبتدعة فيما له وعليه كقوله: هذا لا يلزمني ذكره، وهذا يناقض كلامك الأول فلا يقبل منك، فإن الرجوع إلى الحق مناقض للباطل، ويجب قبوله.

٦ – أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم، ولا يكون كمن غالب حالهم الاحتراز من مناظرة الفحول والأكابر خوفا من ظهور الحق على ألسنتهم، فيرغبون فيمن دونهم طمعا منهم في ترويج الباطل عليهم. وفي هذا منتهى الجبن والأنانية وحب الظهور وعدم البحث عن الحق والصواب، فينبغي للمناظر والباحث البعد عن هذه الصفة الذميمة. [1]

٧ – أن يتحرز المتناظران عن إطالة الكلام في غير فائدة. لأن ذلك من العبث، وقد قيل: خير الكلام ما قل وأفاد، وليكن الرسول صلى الله عليه وسلم قدوة لهما، فقد أوتي صلى الله عليه وسلم جوامع الكلم، ونهى عن الثرثرة والكلام بما لا يفيد، وهذا النهي لعامة المسلمين عن الثرثرة في الكلام، ففي كلام العلماء من باب أولى.

٨ – أن يجتنب المتناظران الاختصار المخل في الكلام بحيث لا يفهم أحدهما كلام الآخر ويكون له بمثابة اللغز، والبيان في هذا المجال مطلوب، غير أنه ينبغي التوسط في ذلك فلا الإطالة بلا فائدة مطلوبة، ولا الاختصار المخل في المعاني مراد، بل الابتغاء بين ذلك سبيلا.

---

[1] انظر: إحياء علوم الدين: ١ / ٤٤ – ٤٥.

٩ – أن يجتنب المناظر مجادلة ذي هيبة يخشاه، فإن ذلك يؤثر عليه، فيجعله ضعيفا خائفا من القيام بحجته على الوجه الذي ينبغي، والذي كان باستطاعته الإتيان بكامل حجته لو كان مناظره قرينا ومساويا له علما ومنزلة.

١٠ – أن لا يظن المناظر خصمه حقيرا ضعيفا قليل الشأن، فذلك يقلل من اهتمامه، فيمكن خصمه الضعيف منه وحينئذ قد جنى على نفسه وقصر في التعاون المطلوب لإظهار حجج رأيه الذي قد يكون هو الحق، أو الأولى بالصواب، من رأي مناظره الذي تساهل في مواجهته حتى مكنه من التغلب عليه، فالإتقان والإحسان مطلوبان من المرء في أي أمر يعالجه.

١١ – أن لا يظن خصمه أقوى منه بكثير، مع أنه في الحقيقة مساو له أو يفوقه بشيء يسير من العلم، فذلك الظن الذي ليس في محله يجعله متخاذلا، فيضعف عن تقديم حجته على الوجه المطلوب.

١٢ – أن يبتعد المتناظران عن الألفاظ الغريبة، والألفاظ المجملة التي تحتمل معاني متعددة من غير ترجيح أحدها الذي هو المراد.

ولقد حذر الرسول صلى الله عليه وسلم عن استعمال مثل هذه الألفاظ الغريبة عند التحادث، فقال صلى الله عليه وسلم: "إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون ... الحديث [1]".

والمتشدق: هو الذي يتطاول على الناس في الكلام.

والمتفيهق: المتكبر الذي يتكلم بملء فيه تفصحا.

---

[1] رواه أحمد في المسند: ٤ / ١٩٣، والترمذي في كتاب البر باب "٧١" ٤ / ٣٢٥ وقال: حديث حسن غريب، ووافقه الألباني في صحيح الجامع: ١ / ٤٣٩.

ودعا نبي الله موسى عليه السلام ربه أن يجعله فصيحا مبينا فقال تعالى عنه: {واحلل عقدة من لساني، يفقهوا قولي} [١] وقال تعالى على لسان موسى أيضا {وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردءا ...} [٢] وقال تعالى منكرا على المشركين نسبة البنت إليه، وذكر أنهم نسبوا إليه النقيصة إذ جعلوا له البنت التي لا تبين عند الحديث والمخاصمة والمناظرة: {وجعلوا له من عباده جزءا إن الإنسان لكفور مبين، أو من ينشؤ في الحلية وهو في الخصام غير مبين} [٣] وغير ذلك من النصوص الدالة على تحذير المسلم من استخدام غريب اللفظ فكان المناظر أولى بذلك.

١٣ – أن يتقيد كل من المتناظرين بالقول المهذب، البعيد عن كل طعن أو تجريح أو هزء أو سخرية، أو احتقار لوجهة النظر التي يدعيها أو يدافع عنها من يحاوره.

وهذا الأدب قد أرشد الله المتناظرين التقيد به في نصوص كثيرة منها: قوله تعالى: {ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن..} [٤] وقوله تعالى: {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن...} [٥] والتوجيه إلى المجادلة بالتي هي أحسن يشمل كل ما يتعلق بالجدال والمناظرة ويربط بها وبصاحبها من قول وفكر وعمل، فالمسلم مطالب بأن يلتزم في مناظرته – لإثبات الحق الذي يؤمن به وإقناع الناس به – الطريقة التي هي أحسن من كل طريقة يمكن أن يتخذها الناس في مناظراتهم، لذلك كان من أخلاق المسلم وآدابه مع خصوم دينه ومخالفي عقيدته، فضلا عن إخوانه المؤمنين أنه لا يسلك مسالك السب والشتم، والطعن واللعن، والهمز واللمز والهزء والسخرية، والفحش والبذاءة، وقد أكد الإسلام النهي عن هذه

---

[١] سورة طه: ٢٧، ٢٨.

[٢] سورة القصص: ٣٤.

[٣] سورة الزخرف: ١٥ – ١٨.

[٤] سورة النحل: ١٢٥.

[٥] سورة العنكبوت: ٤٦.

المسالك، فقال الله تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين: {ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم} [١]، وقال: {يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم} [٢] وقال: {ويل لكل همزة لمزة} [٣] وغير ذلك من الآيات المحرمة لهذه المسالك على العامة والعلماء في ذلك أشد. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس المؤمن بالطعان، ولا باللعان، ولا الفاحش، ولا البذيء" [٤] فالمناظرة بالتي هي أحسن هي السبيل الأقوم التي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن يلتزموها في مناظرتهم مع كل من يناظرهم، فحري بالمناظر المسلم أن يلتزمه ليكون على صواب ومنهج سديد.

١٤ – أن يكون كلام المتناظرين ملائما للموضوع، ليس فيه خروج عما هما بصدده، لأن ذلك يشتت الذهن ويضيع الوقت، ويعدم التركيز المطلوب، ويهدر جهد المتناظرين.

١٥ – أن لا يتعرض أحدهما لكلام الآخر قبل أن يفهم مراده تماما لأن ذلك يسبب غضب الآخر، ويثير حفيظته، ويؤدي إلى عدم فهم الكلام فهما جيدا ويترتب على ذلك أن يكون الرد على كلامه غير واف، أو غير مفهوم.

١٦ – أن ينتظر كل واحد منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه ولا يقطع عليه كلامه قبل أن يتمه.

وهذا من الأدب الرفيع الذي أدب الإسلام به المسلمين فأمرهم بالإنصات للقرآن حتى يفهموا مراد الله من كلامه، ومن ثم تتزل عليهم رحمة الله التي أودعها كتابه من الإيمان والصلاح والهدى والرشاد والشفاء الذي تضمنها القرآن الكريم، قال

---

[١] سورة الأنعام: ١٠٨.

[٢] سورة الحجرات: ١١.

[٣] سورة الهمزة: ١.

[٤] رواه أحمد في المسند: ١ / ٤٠٥، والترمذي في كتاب البر باب "٤٨": ٤ / ٣٠٨ وقال: حديث حسن غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي: ٢ / ١٨٩.

تعالى: {وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون} [١] وقال موجها المؤمنين للاستماع إلى القول استماعا تاما ليأخذوا منه أحسنه: {الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه}[٢]. وقد طبق الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك فكان ينصت لأصحابه حتى يفرغ محدثه منهم من كلامه ثم يبدأ هو بالكلام، وذلك مستفيض ومشهور من مقابلاته وإجابته على أسئلة السائلين ونحو ذلك مما هو معروف في سيرته التي أمرنا بالاقتداء بها، فجدير بالمتناظرين أن يكونوا أول المقتدين بهديه صلى الله عليه وسلم.

١٧ – أن لا يكون المناظر في حالة قلق نفسي أو اضطراب، أو في حاجة تفسد عليه مزاجه النفسي والفكري، كأن يكون جائعا، أو ظامئا، أو حاقنا، أو نحو ذلك.

وقد أرشد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى الالتزام بهذه الآداب في أجل الأعمال وأكبر القربات (الصلاة) وهي التي لا تقبل التأخير عن وقتها فغيرها من الأعمال أولى، فحري بالمتناظرين الحرص على التزام ذلك لأن الذهن عادة لا يصفو ما دامت النفس مصحوبة بالقلق والاضطراب بسبب هذه العوارض. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا وضع عشاء أحدكم وأقيمت الصلاة فابدءوا بالعشاء، ولا يعجل حتى يفرغ منه" [٣] وقال صلى الله عليه وسلم أيضا: "لا صلاة بحضرة الطعام ولا هو يدافعه الأخبثان" [٤] وقال صلى الله عليه وسلم: "لا يقوم أحدكم إلى الصلاة وبه أذى". [٥]

---

[١] سورة الأعراف: ٢٠٤.

[٢] سورة الزمر: ١٨.

[٣] رواه البخاري في كتاب الأذان باب "٤٢" انظر فتح الباري: ٢ / ١٥٩، ومسلم في كتاب المساجد باب "١٦": ١ / ٣٩٢.

[٤] رواه مسلم في كتاب المساجد باب "١٦": ١ / ٣٩٣.

[٥] رواه ابن ماجه في كتاب الطهارة باب "١١٤": ١ / ٢٠٢، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه: ١/ ١٠٠.

والمتناظر أولى بالتزام ذلك من المصلي الذي منع القيام بهذه الشعيرة العظيمة، لأجل هذه العوارض التي تشوب الفكر وتشل التفكير، فعلم من هذا أن المناظر الذي اعترضته تلك العوارض لا يصح منه القيام بالمناظرة لأن ذلك يجعله عاجزا عن التفكير السديد الذي يحتاجه من يفحص الأدلة ويناقش البراهين، ويدلي بالحجج.

١٨ – أن يتقابل المتناظران في المجلس، ويبصر أحدهما الآخر إن أمكن، وأن يكونا متماثلين أو متقاربين علما ومقدارا.

١٩ – أن لا يكون المناظر متسرعا يقصد إسكات خصمه في زمن يسير، لأن ذلك يفسد عليه رويته الفكرية، ويبعده عن منهج المنطق السديد، والتفكير في الوصول إلى الحق.

٢٠ – أن يقبل كل منهما الحق الذي هداه إليه مناظره، وأن يعترف بأن قوة دليله تُقدّم ترجيحا لوجهة نظره، أو لمذهبه حتى يكتشف أمر آخر يضعف دليله – إن وجد – ويجعله غير صالح للترجيح. أما الإصرار على الرفض فمكابرة ممنوعة، وأما المراوغة فهي تعد تهربا وانسحابا من مجلس المناظرة، ومتى وجد المناظر مثل هذه المراوغة من خصمه فخير له أن يقطع المناظرة ويلزم خصمه بالهرب والانسحاب، وليحذر من أن يستدرجه من موضوع إلى موضوع لئلا تتحول المناظرة إلى ما يشبه المصارعة التي ليس لها قيود ولا ضوابط، وهذا النوع من الجدال والمناظرة المحظورين.

فمتى التزم المتناظران بهذه الآداب استطاعا أن يصلا إلى أنجح النتائج وأصوب المناظرات بإذن الله تعالى [١].

❖❖❖

[١] انظر: علم البحث والمناظرة لطاش كبري زادة، ص: ٢٩٥ ضمن كتاب "الذخيرة من المصنفات الصغيرة"، تحقيق أبي عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، وآداب البحث والمناظرة للشنقيطي: ٢ / ٧٦، وضوابط المعرفة للميداني، ص: ٣٧٢ – ٣٧٣.

تفنيد المزاعم

شبهات تثار حول دولة التوحيد

أ. د. ناصر بن عبد الكريم العقل

كثير من الذين ينتقدون نهج المملكة العربية السعودية في تطبيق الشريعة ويسمونها (بالوهابية) يجهلون أنهم بذلك إنما يعيبون الإسلام نفسه فيذكرون قضية المرأة والتعليم الديني، وتطبيق الحدود الشرعية (كقطع يد السارق وجلد الشارب، وقتل المرتد) والقضاء الشرعي، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونحو ذلك مما هو من قطعيات الدين ومسلماته وثوابت الشريعة الإسلامية التي يدين بها كل مسلم والتي تدين بها المملكة بصفتها دولة مسلمة، وتحكم مجتمعا مسلما في بلاد بيضة الإسلام ومقدساته، وربما يصل الأمر بهؤلاء الناقدين من أفراد ودول ومؤسسات إلى اعتبار العمل بشرع الله وتطبيق الحدود وصيانة المرأة المسلمة انتهاكا لحقوق الإنسان!

وهذا ناتج عن جهل هؤلاء لموقع المملكة الديني والجغرافي والاجتماعي من حيث كونها قلب العالم الإسلامي وروحه دينيا وجغرافيا وسياسيا، وأن نهج ذلك لم يكن عن مسلك خاص أو مذهب تتفرد به من عند نفسها، بل هو الإسلام نفسه، وإن سماه بعضهم (وهابية).

ولخطورة هذه القضايا التي يثيرونها ضد المملكة نقف عند مناقشة نماذج منها بموضوعية:

١ – تطبيق الشريعة عموما، وتطبيق الحدود خصوصا، كقطع يد السارق، وقتل المفسد والمرتد.

٢ – تحريم دخول مكة على غير المسلم ومنع إحداث معابد لغير المسلمين.

٣ – قضايا المرأة مثل: الحجاب، تعدد الزوجات، كون المرأة نصف الرجل في الميراث والشهادة.

إن المملكة العربية السعودية حين حكمت شرع الله في سائر أحوالها، وجعلت مصدر التشريع (كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم) ليس لأنها (وهابية) كما يزعمون، ولكن لأنها دولة مسلمة تحكم شعبا مسلما ١٠٠٪ وتحوي المقدسات الإسلامية ومنبع الإسلام فعملها بشرع الله هو الأساس الذي قامت عليه. وقد نصت على ذلك المادتان (١) (٧) وغيرهما من نظام الدولة وليس أمامها خيارات أخرى، وذلك[١].

أن التحاكم إلى الشريعة الإسلامية واجب على المسلمين كوجوب الصلاة والصيام، ويعتبر المجتمع المسلم آثما إذا تخلى عن تطبيق الشريعة الإسلامية وهو قادر عليها كما قال تعالى: {ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون} ([٢]) و (الظالمون) و (الفاسقون).

لأن الشريعة الإسلامية نظام إلهي أنزله الله رب البشر ولا يستوي مع نظام شرعه البشر أو نظام صاغه البشر.

وبما أن الشريعة نظام إلهي أنزله الله الذي هو سبحانه أعلم بما يحتاجون إليه فجعل شرعه ملبيا لاحتياجاتهم محيطا بما يستجد من حياتهم وقد كفل هذا الشرع ألا يتميز جنس على جنس أو طبقة على طبقة لأنه نزل من رب الجميع فهو شرع للجميع.

كما أن هذا الشرع محكم فلا يمكن أن يبيح اليوم أمرا ثم يحظره غدا أو العكس بينما نرى الشرائع والقوانين الأرضية تحرم هذا الأمر في سنة ثم تجيزه أخرى وهكذا من غير ثبات، بل ربما وجدت القانون الواحد يختلف تطبيقه من بلد إلى بلد، ومرد ذلك لرغبة الحاكم أو المجلس التشريعي في البلد مما يفقد هذه الشرائع ثباتها واستقرارها.

إن المسلمين الذين يطالبون بتطبيق الشريعة الإسلامية اليوم محقون في مطالبتهم ويجب على المجتمع الدولي – وفق معاييره المعاصرة – أن ينصرهم ويعينهم لتحقيق مطالبهم وذلك:

---

[١] كثير من مادة هذه القضايا ثم اقتباسها من مذكرة للدكتور محمد بن عبد الله السحيم (٦ – ٣٠) بتصرف.

[٢] سورة المائدة، آية (٤٤).

إن المبادئ والشعارات الديمقراطية التي ينادي بها الناقدون للمملكة تلزم بالعمل بما تختاره في المجتمع، ولا تزال الأكثرية المسلمة في المجتمعات الإسلامية تطالب بتطبيق الشريعة، فيجب أن تمكن من تحقيق طلبها وفق المبادئ الديمقراطية. فكيف والمجتمع السعودي كله مسلم؟

والمملكة كذلك تطبق نظام العقوبات الإسلامية والحدود من هذا المنطلق:

إن الحدود والعقوبات – جسدية أو غير جسدية – ما هي إلا أحكام تنص عليها الشريعة كما ينص على مثلها أي قانون في الدنيا باعتبارها جزاءات توقع على المخالفين، وكل شعوب العالم ودوله لها خصوصياتها ومناهجها في قوانينها وأنظمتها الخاصة في قانون الجزاء والعقوبات وغيرها.

ويبقى النظر في المصالح المتحققة من جراء القانون ومدى إعطائه أثره ونتيجته كحافظ للأمن ومثبت لاستقرار الناس في معاشهم وتنقلاتهم وأخلاقهم. وقد أثبت نظام العقوبات والحدود في الإسلام (والذي تعتز به المملكة) أنه الأنفع والأجدى في حفظ الضرورات الخمس (الدين والعقل والنفس والمال والنسب) وفي الردع والعدل، وليس من الإنصاف انتزاع مادة من قانون أو حكم من شريعة وإبرازه وكأنه مثلبة في هذا القانون أو ذاك. ولكن نظرة الإنصاف تقتضي النظر إلى النظام كله، شروط الجريمة وتحققها وشروط إيقاع الجزاء وأسباب ذلك.

على سبيل المثال: من أشهر العقوبات قطع يد السارق وقتل المفسد في الأرض وقتل المرتد.

أما عن قطع يد السارق، وقتل المفسدين في الأرض فإنك تجد في تاريخ الإسلام الطويل أن تنفيذها كان في حالات يسيرة ليس لأنها غير عملية وإنما من أجل الأمان الذي تحققه الشريعة في صرامة العقوبة ثم الشروط الموضوعة لتطبيقها حيث تدرأ الحدود بالشبهات، ثم إن قطع يد واحدة أو قتل مجرم تكون فيه حماية للملايين من الأجيال بهذا الرادع الفردي.

وقبل ذلك كله أن الله تعالى هو الذي حكم في كتابه الكريم بقطع يد السارق فقال: {والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم} (سورة المائدة، آية: ٣٨) وحتى يكون الأمر أكثر واقعية نستشهد بالواقع المعاصر بقوانينه ونظمه.

إن الأمم المعاصرة وبخاصة دول الغرب قد ملكت أسلحة فتاكة وأجهزة نفاذة وتقنيات متقدمة ووسائل دقيقة واستكشافات باهرة وبخاصة في مجال مكافحة الجريمة، وبحوثا ودراسات وطرقا في الملاحقات وتتبع المجرمين، إضافة إلى التوعية الإعلامية الواسعة للجمهور والاستنارة بالثقافة والتقدم العلمي والوعي المعرفي للأفراد والجماعات، وعلى الرغم من كل ذلك فإن الجريمة تستفحل ويزداد المجرمون عتوا وطغيانا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن تركيزهم منصب على استصلاح المجرمين وتهذيب الأشرار، وقد أرادوا أن يجعلوا من السجون أماكن تهذيب ومنابر إصلاح، واعتبروا المجرمين مرضى أحق بالعلاج منهم بالعقاب، وألقوا بالملائمة على عوامل الوراثة والبيئة والفساد الاجتماعي، وهذا قد يكون حقا لا ينكر ولكن الأمر ليس مقصورا على هذا الجانب وحده، ذلك أن العضو المريض قد تكون المصلحة في بتره حتى لا يسري مرضه إلى الجسم كله وهذا أمر مقرر عقلا وواقعا، وشرعا قبل ذلك.

والفساد الاجتماعي ما هو إلا من مجموع فساد الأفراد:

والسجن فقط كما تنحى أكثر القوانين الوضعية ليس هو الحل الأمثل، فالسجون غلظت فيها قلوب كثير من المجرمين وخرجوا منها في ضراوة أشد وشقاوة أعظم، ومن اليسير أن يتعاون المجرمون واللصوص والقتلة في رسم الخطط ويجعلوا من السجن ساحات ممهدة للتدارس وتقاسم المهمات يشاركهم في ذلك إخوان لهم في الغي خارج القضبان.

وأنت ملاحظ ومدرك أن فكرة الهدف الإصلاحي للمجرمين والمعالجات اللينة قد مضى عليها عشرات السنين فلم تجد في أكثر المجرمين نفعا، بل ومع هذا فالإجرام في تزايد مطرد فما كان هذا الهدف إلا وهما وسرابا.

كما أن كثيرا من أصحاب الجريمة يجعلون من السجن دار استجمام وترفه. إن المجتمع الإنساني المعاصر قد بلغ المجرمون فيه ذروة من الاستهتار والاستباحة والاسترخاص للدماء والأموال والأعراض جعلت العقوبات في التشريعات الوضعية ضعيفة هزيلة بجانب سوء صنائع هؤلاء العتاة المجرمين، أي رحمة أو تهذيب يستحقها هؤلاء القتلة والسفاكون وقطاع الطريق، وهل كانوا رحماء بضحاياهم الأبرياء؟ وهل كانوا رحماء بالمجتمع كله؟ بل تطور الأمر كما هو مشاهد إلى تطور المجرمين في وسائلهم، فصاروا يكونون العصابات التي تفوق أحيانا في إمكاناتها ووسائلها وتجهيزاتها الدول والحكومات، ولا أدري أي عقاب سوف ينزله هؤلاء الرحماء بتجار المخدرات وأصحاب الجرائم الكبرى الذين لا ينزال نسمع ازدياد أعمالهم وأخبارهم واستفحال إجرامهم حتى أصبحوا ظاهرين غير متسترين بل صاروا يفاوضون الحكومات علنا في كل البلاد التي لا تحكم بشرع الله؟

وبناء على ما سبق فإن العلم والثقافة والحضارة والمدنية في صورتها الراهنة حينما خلت من العقوبات الرادعة أصبحت عاجزة عن دفع الأخطار عن الإنسان الذي يعيش حياة الخوف والرعب على الأرض وفي الجو والبحر وفي المنزل والمكتب والمصنع والشارع.

ومجرم اليوم كما أسلفت مزود بالعلم والمعرفة، ويتطور مع تطور أنظمة الشرطة وتجدد أساليب الملاحقة والمتابعة، ويخطط كما يخطط رجال الأمن، والكل في صراع لا يفصله إلا العقاب الزاجر العادل.

وأخيرا فإن هناك العقوبات الجسدية التي يعيبون المملكة بها صارت تطبقها بعض القوانين المعاصرة، وأبرزها عقوبة الإعدام بل هذه العقوبة كانت ملغاة في بعض القوانين ثم عادوا إليها، وفي كتابنا نحن المسلمين عبارة جامعة قاطعة: {ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون} (سورة المائدة، آية ٥٠)، وقال سبحانه: {ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون} (سورة البقرة، آية: ١٧٩).

أما عن قتل المرتد:

فإن المملكة العربية السعودية حين تحكم بقتل المرتد، فإنها لا تفعل ذلك حتى تستكمل الإجراءات النظامية أو الشرعية والقضائية، فهي تحكم شرع الله في ذلك، إذ صح عن النبي صلى الله أنه قال: "من بدل دينه فاقتلوه" [1]، وهي مع ذلك لا تجبر أحدا على الإسلام كما قال الله عز وجل: {لا إكراه في الدين} (سورة البقرة، آية: ٢٥٦)، وذلك يعني:

أولا: أنه لا يجوز للسلطة إجبار أحد على الإسلام، لكنه حين يدين به ويلتزمه ويعلن ذلك يلتزم تبعات التزامه التي منها أنه لو ارتد وجب قتله.

ثانيا: أن الإنسان لا يقبل منه الدخول في الإسلام حتى يستعد لقبوله ويلتزم أركان الإسلام، ويقتنع فيه ويأتي إليه راغبا لا راهبا جادا لا هازلا، فإذا أسلم الإنسان وخالطت بشاشة الإيمان قلبه فلا يمكن أن يرتد عنه، ولذا قال هرقل – ملك الروم – لأبي سفيان، وهل يرتد عنه – أي الإسلام – أحد سخطة عليه؟ فقال: لا. فقال فكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب [2].

ثالثا: إن الذي يدخل في الدين بغير نية صادقة والتزام جاد، يسيء إلى نفسه، ثم يسيء إلى الإسلام وأهله جدير بالعقوبة.

وجميع القوانين الدولية تجيز قتل من يعارض المصالح الكبرى للأمة أو يتعدى فساده مثل من يتجسس عليهم أو يريد إشاعة الفوضى وإظهار الفساد في المجتمع، كما أن الذي يرتد عن الإسلام كان يعلم قبل إسلامه أن عقوبة المرتد هي القتل، فلماذا يغامر ويدخل في دين يعلم أن عاقبة الارتداد عنه القتل؟ إنه حين يفعل ذلك فسيتهم بأنه لم يغامر ويعزم أنه سيرتد إلا لمكيدة سابقة دبرها للإسلام أو تم استئجاره لذلك.

رابعا: ليس في قتل المرتد عن الإسلام انتهاك لحقوق الإنسان لأنه هو الذي اختار هذا الطريق وعلم المصير الذي يؤول إليه.

---

[1] رواه البخاري (٢ / ٢٥١، ٤ / ٣٢٩)، وأبوداود (٤٣٥١) والنسائي (٢ / ١٧٠)، والترمذي (١ / ٢٧٥ – ٢٧٦)، وابن ماجه (٢٥٣٥٥)، وأحمد ، (١ / ٢٨٢).

[2] رواه البخاري رقم (٧)، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله .... إلخ.

خامسا: أن الخروج عن الإسلام يعتبر خروجا عن النظام العام، ذلك أن الإسلام دين كامل كما يهتم بعلاقة المرء بربه فهو يهتم بعلاقته بغيره من بني جنسه بين الإنسان ومجتمعه وسلطانه وبينه وبين أقربائه، وبينه وبين أعدائه حربا وسلما في شمول منقطع النظير عبادة ومعاملة وجناية وقضاء إلى سائر ما تنقسم إليه قوانين الدنيا، ولذا يجب النظر إلى الإسلام ككل متكامل وليس قاصرا فقط على علاقة العبد بربه كما يظنه غير المسلمين، وإذا كان ذلك كذلك فالردة تعني الخروج على النظام العام.

سادسا: أن في جعل العقوبة في الردة إباحة دم المرتد وقتله زاجرا لمن يريد الدخول في هذا الدين نفاقا وإرصادا، وباعثا له على التثبت في أمره فلا يعتنقه إلا على بصيرة وسلطان بين، فلديه تكاليف وشعائر يتعسر الاستمرار عليها من قبل المفسدين أصحاب الضمائر الفاسدة وأصحاب المآرب المدخولة.

سابعا: للمرء قبل أن يسلم أن يؤمن ويكفر فإذا آثر أي ديانة فلا اعتراض عليه ويبقى له حق الحياة والعيش بسلام، فإذا آمن بالإسلام فعليه أن يخلص له ويتجاوب معه في أمره ونهيه.

ثامنا: ليس من الحرية في شيء أن يمكن لشخص من أن يخرج على دين المجتمع وينبذ قواعده ويستهزئ بشعائره ومقدساته ويشاق أبناءه، فإن ذلك يعد خيانة للدين والوطن.

تاسعا: أن عقوبة القتل (الإعدام) موجودة في كثير من القوانين المعاصرة للمفسدين وأصحاب الجرائم البشعة والكبرى لمهربي المخدرات أو غيرهم لجدواها في القضاء على الجريمة وحماية المجتمع منها، وإفساد الدين أعظم من الإفساد في بعض مناحي الحياة، ولم يقل أحد أن تشريع عقوبة الإعدام في حق هؤلاء المفسدين الذين يهربون المخدرات – مصادم لحريتهم، إذ كانوا قد تجاوزوا في حرياتهم حتى سطوا على حريات الآخرين.

(يتبع)

❖❖❖

دور الإعلام في إصلاح المجتمع وإفساده

عنايت الله بن نورالهدى
الباحث بجامعة جواهرلال نهرو، بنيودلهي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى أله وأصحابه الغر المحجلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله عزوجل: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} (سورة هود: ١١٧).

برز الإعلام اليوم كقوة هائلة في جميع ميادين الحياة، الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية والحربية وغيرها. وهو يعد مصدرا مهما من مصادر الأخبار والأنباء والمعلومات. ويعتبر وسيلة مؤثرة من وسائل التوجيه والتثقيف للأفراد والشعوب والمجتمعات. وهو يؤدي دورا بارزا في تربية الناشئة وتثقيف عقول الشباب وتوعيتهم. كما له الحظ الأوفر في رفع أقوام وحضارات ووضع أخرى. ويؤدي دورا أساسيا في بناء مجتمعات صالحة وهدمها. ويساهم مساهمة فعالة في تعزيز السلم الداخلي والخارجي وإرساء دعائم الأمن والاستقرار، وبالتالي يساهم في التنمية المستدامة للبلاد في مختلف مجالاتها وقطاعاتها.

قلب الإعلام اليوم كل الموازين للمجتمع، وأضحى ركيزة أساسية في تشكيل ملامح المجتمعات، ولا يزال يؤثر على أفكار وعقول الجماهير، المتباينين في اهتماماتهم وتوجهاتهم ومستوياتهم الفكرية والأكاديمية والاجتماعية.

يعتبر الإعلام بوسائله المتطورة المختلفة من المقروءة والمسموعة والمرئية، أقوى أدوات الاتصال العصرية التي تعين الفرد في المجتمع على معايشة العصر والتفاعل معه. كما أصبح للإعلام دور مهم في نشر الحضارات المتنوعة والثقافات المتعددة وفي تعميم المراسم والطقوس للشعوب والأمم وبصفة خاصة في نشر الأخلاقيات والمثل والقيم.

ويطلق على عصرنا هذا بأنه عصر الإعلام. فله الكلمة الأولى في ظل الثورة المعلوماتية والاتصالية، تلك الثورة التي لن تتوقف مع استمرار عملية الابتكار والتغيير. ولقد أدت هذه الثورة إلى إحداث تطور ضخم في تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات، وجعلت السماء مفتوحة تسبح فيها الأقمار الصناعية لتمتد رسالة الإعلام إلى أرجاء المعمورة، وليصبح العالم قرية إلكترونية صغيرة. والواقع أن الإعلام في العصرالحديث، أصبح جزءاً مهما للغاية لحياتنا والهاجس المسيطر على حياتنا ليل نهار.

وقبل أن أخوض في صلب الموضوع يجدر بي أن ألقي الضوء على تعريف الإعلام لغويا واصطلاحيا مع ذكرأقسامه المتنوعة وبيان أهميتها في الحياة.

الإعلام:

الإعلام لغة: كلمة مشتقة من فعل أعلم يعلم إعلاما، بمعنى أخبر إخبارا، يقال: أعلم فلان فلانا الخبر: أخبره به وجعله عالما به والإعلام: الإخبار، أي إيصال الخبر إلى الآخرين، وإظهاره والكشف عن أمره، فهو "فن مخاطبة الناس بأحسن أسلوب وأجود كلام وأفضله بهدف إخبارهم أمرا يجهلونه"[١].

وفي المعني الاصطلاحي بمعنى نقل الخبر، وما نقصده من الإعلام هنا هو تزويد الناس بالمعلومات والحقائق والأخبار الصادقة لمساعدتهم على تكوين رأي سليم حول قضية ما أو مسألة معينة، وما نقصده بوسائل الإعلام هنا هو وسائل الإعلام الجماهيري ذات القدرة على الوصول إلى جماهير متعددة في التوقيت ذاته والمتمثلة في الصحف والجرائد والمجلات والإذاعات والتلفزيونات العالمية والمحلية والإقليمية، بالإضافة إلى الإنترنت، وهي أحدث وسيلة إعلامية وربما أخطرها على الإطلاق، لاسيما أن أكثر مستخدميها هم من فئة الشباب، وتأثيرها عليهم سلبا أو إيجابا هو محور اهتمام مئات الدراسات العلمية اليوم. ويقول الدكتور سمير كبريت في كتابه "اللغة العربية وإعداد رجال الإعلام" عن الإعلام:

---

[١] كبريت سمير، اللغةالعربية وإعداد رجال الإعلام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة، صفحة، ٣٣، ٢٠١١م.

"أسلوب حضارى حديث، يخاطب الشعوب والأمم بطرائق شتى، صوتاً وصورة وكتابة ورمزا. هو يمدها بالقوة والحماسة والمنعة ساعة تواجه الأخطار، وقد يكون مصدر تهديد لها وتهديم وإذلال من الخصوم والأعداء ساعة تكون ضعيفة مستسلمة" [١].

فالإعلام يهتم بنقل الأخبار والمعلومات بحرية وموضوعية من خلال كل وسائله ورسائله. ويتناول الحياة الإنسانية في جميع نواحيها وقضاياها.

يشمل الإعلام كل الوسائل المكتوبة والمرئية والمسموعة بدءًا من الصحف والجرائد والمذياع والتلفاز ومرورا بشبكة الإنترنت والهواتف النقالة، وانتهاء بالاتصال الاجتماعي الجماهيري والإعلام الجديد: الفيسبوك، والتويتر، واليوتيوب المستخدمة بين سائر الجماهير والتي يتم التواصل عبرها بين كافة المستخدمين لها بطريقة سريعة ودقيقة ومذهلة، ويشار عادة إلى الصحافة والراديو والتلفزيون بوصفها الوسائل الإعلامية الجماهيرية الأساسية، وهي الوسائل التي تنطوي على الخصائص الإعلامية المسموعة والمرئية والمقروءة. وما يعنيه بالجماهيرية هو أن هذه الوسائل الإعلامية تكون في متناول الأكثرية الساحقة من أفراد المجتمع وشرائحه الواسعة.

أهمية الإعلام:

تتمثل أهمية الإعلام، ودوره في المجتمع في الآثار التي يحدثها في منظومة القيم، وأنماط التفكير، وأساليب الحياة؛ بسبب التعرض للرسائل الإعلامية، التي تعرضها وسائل الإعلام. والحديث عن دور وسائل الإعلام في المجتمع لا يتم إلا بذكر الوظائف التي تقوم بها وسائل الإعلام، بكونها مؤسسات اجتماعية، وبذكر الدور الذي تلعبه في تثقيف المجتمع وتطوير البلاد ونشر حضارات وعادات الأقوام والأمم وتشكيل الرأي العام وتقديم المثل والقيم والمعايير الخلقية والنظم الثقافية، وكيف يصبح كل هذامثاليا يحتذيه أفراد الأمة وشبابها.

أهمية الإعلام كسلطة رابعة:

وللدور المميز والفعال الذي يلعبه الإعلام في المجتمع يطلق عليه بأنه سلطة رابعة بعد السلطات الحكومية الثلاثة: التشريعية والتنفيذية والقضائية. فهو صوت لمن لا صوت له، فيقدم صوت الشعب وقضاياه المختلفة المستجدة في المجتمع، ولا يراعي في

---

[١] المرجع السابق، صفحة: ٣٣.

ذلك لومة لائم، ولا يلتزم بأي التزام رسمي إلا بالقوانين والالتزامات الشرعية المنضبطة في كتاب الدستور، فهو حر يعمل على نقد الكل والجميع، ويقوم بكشف كل شيء أمام المواطن العادي. ويقول الرئيس الأمريكي السابق توماس جيفرسون بأنه يمكن العيش بدون أي حكومة إذا كانت الصحافة موجودة، وهو رأي يعطي انطباعًا وتقديرا كبيرين لدور وسائل الإعلام في المجتمع والسياسة خاصة [(١)].

الإعلام، وسائله وأنواعه:

تنوعت وسائل الإعلام وتشعبت وبدأت تدخل في ميادين الحياة كلها لأهمية دورها وخطورتها في توجيه الشعوب إيجاباً أو سلبا. وتبذل الحكومات والمنظمات والمؤسسات المختلفة جهودا حثيثة على تطوير هذه الوسائل، واختراع وسائل جديدة حديثة، للوصول إلى العقول والنفوس والتأثير فيها تحقيقاً لأهدافها المنشودة. ونظرا لأهميته وخطورته زاد الاهتمام بالإعلام وأصبح علما أكاديميا مستقلا يستجلب شريحة واسعة من الباحثين والمتخصصين، كما أقيمت له الكليات والمعاهد في الجامعات العالمية الكبرى. يتفرع الإعلام إلى أقسام عديدة كالتالي:

الصحافة: وسائل إعلام مطبوعة:

وهي تشمل كلا من الصحف والجرائد والمجلات والدوريات والكتب والنشرات والكتيبات واللافتات والملصقات. وما زالت الصحافة المكتوبة، في العالم بأسره، تلعب بدورها السامي وتحتل مكانة خاصة بين وسائل الإعلام الحديثة الأخرى لما لها من التاريخ الطويل والكفاح المرير على مدى العصور، ولا يزال الإعلام المكتوب يحافظ على مكانته ودوره الرائد عالميا ومحليا. والركيزة الأساسية للعمل المكتوب هو الصحافي. ورغم أن وسائل الإعلام الحديثة بكافة أشكالها قد تطورت في ظل التطور التقني والتكنولوجي، فإن الإعلام المكتوب لا يزال هو المرجعية الأساسية للعمل الصحافي ومرجعا أساسيا للباحثين والكتاب والأكاديميين.

[(١)] محمد، سيد محمد، الصحافة سلطة رابعة كيف؟، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٩ ،ص، ٥٧.

الإعلام الإذاعي: الوسائل السمعية:

وهي تشمل الإذاعة والتسجيلات الصوتية المختلفة وغيرها من الوسائل التي تعتمد على عناصر الصوت وحده.

الإعلام المرئي: وسائل بصرية:

وهي الوسائل التي تعتمد على حاسة البصر وحده، وتشمل المعارض والنصب التذكارية والأعلام واليافطات واللافتات وغيرها.

الوسائل السمعية – البصرية:

وهي تشمل كل وسيلة تحتوي علي الصوت والصورة كالفضائيات، والتلفزيونات، والسينما، والفيديو، والعروض السنيمائية وشبكات الإنترنت وغيرها.

دورالإعلام في إصلاح المجتمع:

لا يزال الإعلام يلعب دورا فعالا في جميع مجالات الحياة من السياسة والاقتصاد والثقافة وغيرها. فهو يساعد الشعب في تحديد مسار سياسة البلاد بعرض آراء وأفكار سياسية مختلفة، وبتقديم انطباعات المحللين السياسيين وبتجلية رموز بنود الأحزاب السياسية المختلفة ووعودها الحلوة للعامة، وبتوضيح النزعات والاتجاهات والأيدولوجيات التي تحملها هذه الأحزاب، وما هي استراتيجيات العمل، وما هي رؤاها وخططها للتطوير الشامل للبلاد ومحو الأمية وقمع داء الفقر والحرمان وتأمين الأمن والسلام للطوائف المختلفة وحق السواسية لمتبعي الأديان والمذاهب وتحسين أحوال الشعب أجمع.

وإن الإعلام يؤدي دورا نشيطا في تقديم الأحوال الاقتصادية للعالم بأسره وللوطن خاصة ويعرض السياسات المتنوعة للاقتصاد والمناهج والمسالك التي يسلكها وورشات العمل، ويقوم بتعريف المواد والبضائع والسلع المستهلكة وغيرها للمستهلكين العاديين. كما هو ينشر الإعلانات التجارية الرسمية والأهلية المختلفة لعرض السلع وبيان نوعيتها وجودتها وترويجها للناس على اختلاف مستوياتهم وطبقاتهم.

والدور المهم للغاية الذي يلعبه الإعلام اليوم هو بناء المجتمع وتكوين أفراده وتهيئتهم للنهوض بأمور المجتمع وشؤونه، وكيف يمكن لهم إصلاحه وتقييمه. فالإعلام يحتل مكانة متميزة انطلاقا من طبيعة وظائفه وتأثيره على الإنسان كفرد أو مجتمع أو كدولة، ومما ضاعف تأثير الإعلام على بناء شخصية الفرد هو تداخل وظائفه مع جميع طبقات المجتمع لما يقدمه من معلومات عبر مساحات كبيرة وعلى مدار الساعة من خلال مختلف وسائله وتسهم هذه الوسائل في بناء الاتجاهات والمعتقدات عند الفرد وكذلك التأثير على التنشئة الاجتماعية التي تؤثر بدورها على بناء الإنسان الفكري والاجتماعي والنفسي.

ونظرا للأهمية التي تضطلع بها هذه الوسائل فقد اهتم بها الجميع من كبار وصغار، وصار كل فرد منهم يخصص لها فترة من الزمن لمتابعتها، وخاصة البرامج التي تتوافق مع أهوائهم ورغباتهم.

يستفيد الفرد مما يقدم له في تلك الوسائل من البرامج المتعة والرائعة، فقد يصبح مواطنا وقورا، يحترم كل من حوله، ومن ثم يعمل على ربط المجتمع بقيادته وبالتالي يصلح حال المجتمع ويبرز كمجتمع مثالي يقتدى به. ومن أهم ما يمكن أن تضطلع به وسائل الإعلام المختلفة، هو وقوفها سدا منيعا تجاه كل ما يتسبب في ضرر المجتمع من عادات قبيحة، مثل: تناول الكحول والمخدرات والسجائر، ومثل المشاكل التي تواجه المجتمع وتعمل على تدميره، مثل: السرقة، والتهريب والرشوة والاختلاس وتهريب الأموال، واستغلال النفوذ لأجل الوصول للثراء الحرام.

فالمسئولية تقع على أصحاب الإعلام لبث الأفكار والمعلومات والقيم التي تحافظ على ثقافة المجتمع، وتساعد على تطبيع أفراده، وتنشئتهم على المبادئ القويمة، ونشر كل ما يمكن استفادة البشرية منه، من بحوث وتجارب واختراعات واكتشافات، ومثل سامية وقيم راقية ومعايير مثلى ووجهات نظر وأفكار تؤدي إلى بناء مجتمع صالح وسليم يسوده الأمن والسلام والرخاء والرفاهية.

دور الإعلام في إفساد المجتمع:

كانت هذه هى الإيجابيات وغيرها كثير، التي كان من المفروض أن يؤديها الإعلام للمجتمع، ولكن ماذا يحدث فى الواقع؟ هل يؤدي الإعلام مسؤولياته بصدق وأمانة؟ وهل يوفرنا بأخبار ووقائع العالم أجمع كما هي تحصل عليها في الواقع أم هو يقدمها بصورة غير صورتها ليخدم مصالح الآخرين؟ وما نوع الثقافات والحضارات التي يعرضها هو بمختلف وسائله؟ وما هي الأفكار والأراء التي تهيمن على جميع محطات الإذاعة والصحف والجرائد؟؟ هل كل هذا يثقف المجتمع ويقوم بإصلاح معوجاته؟ وإلى ما يهدف المجتمع اليوم؟ وما هي أحوال شباب الأمة؟

عندما نلقي النظر على أحوال العالم ونتفقد أوضاع المجتمع ونتأمل في أدوار الإعلام التي يلعبها اليوم، نجد أنه يلعب تلك الأدوار التي خصصها له من يملكه من أصحاب الثروة ومروجي الأفكار المنحرفة الذين لا علاقة لهم بإصلاح المجتمع إلا خدمة مصالحهم الخاصة.

فالحضارات والثقافات والأفكار السائدة في الإعلام هي غربية بزبدها المستقذر، يقدمها الإعلام في أشكال شتى من المسلسلات والمسرحيات والبرامج الترفيهية.

إن تسرب الأفكار الغربية الهدامة إلى مجتمعاتنا ليس هو إلا نوع من الاستعمار والغزو الفكري. فهي تتغلغل إلى عقول الأطفال والشباب وتسيطر على نفوسهم وتقوم بتطبيعهم على العادات الرذيلة المهلكة والاعتقادات المنحرفة الزائفة. ويتم هذا عبر خبراء في شتى العلوم وخاصة "علم النفس" حيث تخصص العديد من العلماء على كيفية التأثير على عقول الآخرين بشتى الوسائل والأفكار، مما جعل الإعلام بجميع وسائله يغزو عقول الصغار قبل الكبار، ممثلا في الرسوم الكاريكاتيرية والبرامج الترفيهية والتي شدت انتباه الصغار وبعض الكبار. هذه الوسائل جعلت صغارنا رهائن وأسرى. وبالتالي نجحت في تغذيتهم بكل ما يؤسس الاحترام لوجهات النظر الغربية، وبالتالي نجحت في تدجين أطفالنا منذ نعومة أظفارهم علي تلك الأفكار والمذاهب. يتدرج هؤلاء الأطفال بالإدمان على برامج الأطفال ثم على برامج المراهقين والكبار،

برزوا في تقديم البرامج الملهية والتي تجمع بين الرجال والنساء، مما يجعل هؤلاء المراهقين رهينة لمثل هذه البرامج التافهة والمتطرفة والأفلام الخليعة.

فما هي حالة شباب المجتمعات اليوم؟ هم انجرفوا اليوم في تيارات غربية مدمرة ووقعوا ضحية الثقافات الوافدة والأفكار الغربية الغازية، واتبعوا غواية الشيطان ونزوات النفس، وفتنوا بمظاهر الحياة المادية التي تقوم على إشباع الغزيرة الجنسية دون أدنى مراعاة للقلب والروح حتى انتكست مبادئهم وفسدت عقولهم وتفسخت أخلاقهم.

خلاصة القول:

إن الإعلام سلاح ذو حدين، وإن هذا الحد من النوع السريع الذي يقطع الأشياء سريعا، وإن دور الإعلام في إصلاح المجتمع وإفساده يعتمد على من يملك وسائله المختلفة، وعلى استحسان الاستخدام وإساءته. فإذا حسن استخدامه كثرت فضائله ونعمه، وإذا ساء استخدامه كثرت مساوئه وسيئاته. والحقيقة الناصعة أن أعداءَ الإنسانية سيطروا على الإعلام العالمي بكل أنواعه، وسخروه لخدمة أفكارهم الزائفة وآرائهم المدمرة، وسخروه للطعن في الأمة وثوابتها وقيمها، وسخروه لإبعاد المجتمعات من مثلها العليا وقيمها السامية وثوابتها القويمة والسليمة، وأغرقوا شبابها في وحل الفحشاء والترهات، والزنا وجميع المنكرات.

يتحتم على أصحاب السلطة وأولي الأمر والنهي في الدول والمجتمعات أن يقوموا بمواجهة هذه التيارات الهدامة في الإعلام، ويشمروا عن سواعد جدهم لمكافحة الشر المستطير الآكل في موروثات الأمة وعاداتها وتقاليدها الحميدة، ويجب عليهم أن يبذلوا جهودهم الجبارة لإخلاص هذا الجهاز من سيطرة الماكرين وأن يرجعوا إلى الإسلام الحنيف وشرائعه الصافية: "المحجة البيضاء ليلها كنهارها"، وأصوله ومبادئه النيرة للإعلام من الصدق والتثبت وتحري الصواب والأمانة والمسئولية ومراعاة المروءة والفطرة الإنسانية: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} (سورة الحجرات: ٦) حتى يصلح حال المجتمع الإنساني ويسوده الأمن والسلام والرخاء والسعادة.

❖❖❖

التوجيه الإسلامي

الكبر من الخصال المذمومة

الشيخ لطف الحق المرشدآبادي
المدرس بجامعة شمس الهدى السلفية، دلال فور، جاركند

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فهذه كلمة موجزة في ذم الكبر أريد أن أقدمها بين أيدي القارئ الكريم ليعرف جيدا أن الكبر من الأخلاق الرذيلة والخصال الذميمة، حرمه الله تعالى على عباده في كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم في حديثه، ليكون القارئ مجتنبا وحذرا منه غاية الحذر، فأقول مستعينا بالله وحده.

أخي القارئ! – وفقك الله – اعلم أن الكبر من الخصال الذميمة والأخلاق الرذيلة المحرمة في دين الإسلام، وهو خلق رذيل يكرهه الله تعالى ويأباه، قال الله تعالى ناهيا عن التجبر والتبختر في المشي في كتابه العظيم: {ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا} [١]. وقال تعالى ذاما الكبر والمخيلة في كتابه: {إن الله لا يحب كل مختال فخور} [٢]، وأخبر مولانا وسيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن المتكبر المتجبر لا يدخل الجنة فقال: "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة، قال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس". [٣]

وأخبر – صلوات الله وسلامه عليه – بأن الله سبحانه وتعالى يعرض عن المسبل إزاره خيلاء يوم القيامة، لا يكلمه الله ولا يزكيه وله عذاب أليم، فقال: "ثلاثة

---

[١] سورة الإسراء: ٣٨.

[٢] سورة لقمان: ١٨.

[٣] الحديث رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبروبيانه.

لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، قال: فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرار، قال أبوذر: خابوا وخسروا من هم يا رسول الله؟ قال: المسبل والمنان والمنفّق سلعته بالحلف الكاذب". [١]

وقال صلى الله عليه وسلم: إن الذي يجر ثيابه من الخيلاء لا ينظر الله إليه يوم القيامة". [٢]

وأما الذي يجر إزاره لغير الخيلاء فلا بأس به كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رخص في ذلك لأبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال: "لست منهم" إذ كان جره لغير الخيلاء. [٣]

ولما كان الكبر مذموما ذمه الله تعالى في كتابه، ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم في حديثه، وحذّر لقمان الحكيم ابنه من البطر والفخر بالنعم حين وعظه قائلا: {ولا تصعر خدك للناس، ولا تمش في الأرض مرحا، إن الله لا يحب كل مختال فخور، واقصد في مشيك}. [٤]

عاقبة الكبر:

أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن رجلا في بني إسرائيل كان يتبختر يمشي في برديه وقد أعجبته نفسه فخسف الله به الأرض فهو ينزل فيها مضطربا إلى يوم القيامة، كما في الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بينما

---

[١] الحديث رواه مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه، كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار .. الخ.

[٢] رواه مسلم عن عبد الله بن عمر، باب تحريم جر الثوب خيلاء .. الخ.

[٣] شرح مسلم للنووي: ١ / ٧١، طبع الهند.

[٤] سورة لقمان: ١٨، ١٩.

رجل يتبختر يمشي في برديه قد أعجبته نفسه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة". [١]

وقد خسف الله تعالى بقارون وبداره وكنوزه وأمواله إل الأرض السابعة بسبب اختياله في زينته وفخره على قومه وبغيه عليهم، كما أشار الرب تعالى إلى هذا بقوله: "فخرج على قومه في زينته، قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم، وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون، فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين". [٢]

فأخي الكريم! – وفقك الله – لا تحتقر أحدا، ولا تسفّه رأي أخيك، ولا تحمق أحدا من إخوانك، ولا تجهل أحدا، ولا تفتخر بمالك وجمالك وحسنك، وبهائك، وعلمك وقوتك وعقلك وفهمك، وكياستك وشجاعتك وفراستك وذكائك وفطانتك، ومنصبك وجاهك. فإن الكبرياء رداء الله تعالى وهو يليق بذاته، ولا يليق بأحد من المخلوق.

وأسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجنبنا الكبر والخيلاء، ويلهمنا التواضع والتياسر والخمول، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

❖❖❖

[١] رواه مسلم في صحيحه، باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه.

[٢] سورة القصص: ٨٠، ٨١.

المحدث الشيخ أبو الحسن عبيد الله الرحماني المباركفوري رحمه الله

مؤلف مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح

حياته وأعماله

(٢٠) أسعد أعظمي بن محمد أنصاري

[تراجم مشايخه رحمه الله]

(٤) العلامة الحافظ محمد أعظم الغوندلوي:

هو محمد أعظم بن فضل دين الغوندلوي، ويكنى أبا عبد الله، ولد في قرية غوندلانواله (تقع حاليا في باكستان) في رمضان ١٣١٥ هـ = ١٨٩٧م.

حفظ القرآن في صباه، وسافر إلى أمرتسر للتحصيل العلمي، ودرس على كبار علماء عصره، منهم الشيخ الإمام عبد الجبار بن عبد الله الغزنوي، درس عليه تفسير القرآن الكريم وأبوابا من سنن الترمذي، ودرس على الشيخ عبد الأول بن محمد بن عبدالله الغزنوي بلوغ المرام وأكثر أجزاء مشكاة المصابيح مع حفظه عن ظهر قلب. وقرأ على الشيخ عبد الغفور بن محمد بن عبد الله الغزنوي بقية الكتب الستة في خمسة أشهر، والشيخ عبد الغفور مجاز من المحدث السيد نذير حسين الدهلوي، والشيخ محمد أعظم قد أجازه الشيخ المحدث الحافظ عبد المنان بن شرف الدين الوزير آبادي، وهو مجاز من السيد نذير حسين الدهلوي، ومن الشيخ عبد الحق البنارسي، الذي هو مجاز من الإمام الشوكاني. ومن مشايخه أيضا: الشيخ محمد حسين الهزاروي، والشيخ أحمد الله المحدث البرتاب غدي، والشيخ عبد الرحمن البنجابي، والشيخ عبد الرزاق البيشاوري، رحمهم الله أجمعين.

عمل رحمه الله في مدارس وجامعات عديدة في الداخل والخارج منها: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ومدرسة دار الحديث الرحمانية، دهلي، وجامعة دار السلام عمرآباد جنوب الهند، والجامعة السلفية المركزية بفيصل آباد، والمدرسة المحمدية

بغجرانواله، ومدرسة تعليم الإسلام بأودانواله، ويقال: إنه درّس صحيح البخاري خمسين مرة. وقد خلف رحمه الله تلامذة خدموا العلم والدين، منهم الشيخ عبيد الله الرحماني، والشيخ عطاء الله حنيف الفوجياني، والشيخ نذير أحمد الرحماني، والشيخ محمد عبده الفيروز فوري، والشيخ الحافظ عبد السلام البستوي، والشيخ الدكتور عاصم بن عبد الله القريوتي الأردني، الخ.

كان عالما ربانيا عبقريا، وكان شديد التأثر بشيخ الإسلام ابن تيمية ومنهجه ومؤلفاته. وقد بذل وقته وجهده في التدريس والإفادة، ويوجد له بعض الرسائل والمؤلفات أيضا، منها: خير الكلام في وجوب الفاتحة خلف الإمام، التحقيق الراسخ في أن أحاديث الرفع ليس لها ناسخ، إثبات التوحيد، ختم النبوة، تنقيد المسائل، الإصلاح، شرح مشكاة المصابيح إلى آخر كتاب العلم، تحفة الإخوان في الكلام والعقائد الخ. توفي رحمه الله في: ١٤ / رمضان المبارك عام ١٤٠٥ هـ = ٤ / يونيو ١٩٨٥م، وعمره نحو (٩٠) سنة. [1]

٥ – الشيخ عبد الوهاب الآروي:

الشيخ عبد الوهاب الآروي من كبار علماء أهل الحديث في الهند، ينتمي إلى بلدة "آره" في ولاية بيهار في شمال الهند. ولد في قرية دومريا بمديرية بهوجفور عام ١٨٨١ م. درس المرحلة الابتدائية في قريته، ثم سافر إلى دهلي، ومن دهلي اتجه إلى مدينة ميرتهـ، والتحق بمدرسة "دار الحديث مطلع العلوم". وبعد إكمال الدراسة فيها توجه إلى دهلي، والتحق بالمدرسة السعيدية العربية التي كان قد أسسها الشيخ المحدث أبوسعيد شرف الدين الدهلوي عام ١٣٥٠ هـ، والشيخ أبوسعيد قد أسند الحديث عن الشيخ حسين بن محسن الأنصاري اليماني، وعن الشيخ شمس الحق العظيم آبادي، وقد استفاد من دروس السيد نذير حسين الدهلوي أيضا. درس الشيخ عبدالوهاب في

---

[1] ملخص من جهود مخلصة ... ص: ٢٠١ – ٢٠٩. ومن مصادر ترجمته: مجلة الجامعة السلفية بنارس، عدد: ١ – ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٦م، مجلة الاعتصام لاهور: عدد: ٤٧، ٤٨ – ٢ / شوال ١٤٠٥ هـ، مقدمة اتحاف النبيه، مقدمة زبدة البيان.

هذه المدرسة على الشيخ أبو سعيد شرف الدين التفسير والحديث والعلوم الشرعية الأخرى، وأسند عنه الحديث.

ومن أساتذته أيضا: شقيقه الأكبر الشيخ ثناء الله البهاري، والشيخ عبد النور الدربهنگوى، وقد اشتغل الشيخ عبد الوهاب بالتدريس والإفادة في عدد من المدارس والمعاهد الإسلامية. منها: مدرسة دار الحديث مطلع العلوم في ميرته، وكان يدير هذه المدرسة مع التدريس فيها، والمدرسة الأحمدية السلفية في دربنجه (بيهار) وقد شغل فيها إلى جانب التدريس منصب رئيس هيئة التدريس أيضا. وفي أيام عمله في هذه المدرسة كان يمارس مهنة الطب أيضا. وجامعة دار السلام عمرآباد، ومدرسة دار الحديث الرحمانية في دهلي. وكان قد أسس مدرسة باسم "أنوار أحمدية" أيضا في عام ١٩٣٠م.

ومن تلامذته الكثيرين نذكر بعض الأسماء: الشيخ عبيد الله الرحماني المباركفوري، والشيخ عبد الرؤف نعمة الله الرحماني، والشيخ نذير أحمد الأملوي الرحماني، والشيخ عبد الواحد العمري، والشيخ عبد الجليل الرحماني، والشيخ خليل أحمد الرحماني وغيرهم رحمهم الله.

كان رحمه الله يتمتع بكفاءة تنظيميه وإدارية كافية، ولذا تم اختياره لمناصب عديدة، خدم عن طريقها الإسلام والمسلمين. فمن هذه المناصب: رئاسة مؤتمر أهل الحديث لعموم الهند، والذي عرف فيما بعد بجمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند. ظل على هذا المنصب من عام ١٩٤٤م إلى عام ١٩٧٢م. ومنها رئاسة جمعية علماء الهند، اختير لها في أبريل عام ١٩٧٢م. وكان قبله عضوا لهذه الجمعية ثم نائبا للرئيس إلى مدة. وقد تأسست الجامعة السلفية بنارس كمؤسسة تعليمية مركزية لجماعة أهل الحديث في الهند أيام اشتغاله منصب رئيس جمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند. فكان رحمه الله يرأس الاجتماعات واللجان المختلفة المتعلقة بالجامعة قبل التأسيس وبعده. وهو الذي كان يراسل الملك سعود بن عبد العزيز والملك فيصل بن عبد العزيز، والسفير السعودي في دهلي آنذاك، بصفته رئيسا للجمعية. وكان قد قدم كلمة الترحيب بالملك سعود بن عبد العزيز لما زار الهند عام ١٩٥٥م.

توفي رحمه الله في ٦ / مارس ١٩٨٣ م عن عمر يناهض (١٠٠) عام، وخلف ابنا وثلاث بنات. [١]

٦ – الشيخ أبو طاهر البهاري:

ولد الشيخ أبو طاهر في ٢٧ / ربيع الأول ١٢٩٦ هـ في قرية برهنده بمديرية مونغير بولاية بيهار. درس الكتب الابتدائية على الشيخ وحيد الحق الاستهانوي البهاري، ثم درس العلوم الشرعية والأدبية على كل من الشيخ إلهي بخش خان المحدث البراكري البهاري، والشيخ بردل القندهاري، والشيخ منيب خان الرامفوري، ولما تأسست مدرسة فيض رسول بيهار عام ١٣١٣ هـ أصبح يدرّس فيها، واستمر في هذا العمل لنحو ١٤ عاما، وكان يقوم بالأعمال الإدارية للمدرسة أيضا، وعمل في مدرسة أهل السنة في بتنه، والمدرسة الرحمانية في دانافور، والمدرسة الأحمدية مظفرفور فرع المدرسة الأحمدية آره. وفي عام ١٣٣٢ هـ عُين المدرس الأول بالمدرسة الأحمدية بآره. وقضى فترة غير قصيرة بمدرسة دار الحديث الرحمانية دهلي أيضا. حيث درس عليه الشيخ عبيدالله الرحماني الهدية السعيدية في الفلسفة، وسنن أبي داود.

ومن تلامذته أيضا: الشيخ محمد ياسين، كان مدرسا في مدرسة فيض عام بيهار، والشيخ أبو النعيم محمد إبراهيم البهاري، كان داعية وواعظا بمؤتمر أهل الحديث، والشيخ الحكيم عبد الكريم البهاري، والشيخ عبد المجيد البهاري، والشيخ محمد إسماعيل البيربهومي، والشيخ عزت الله المرشد آبادي، والشيخ ولايت حسين، وكيل المدرسة الأحمدية آره، والشيخ عبد المجيد أبو السلاح الأعظم كدهي، والشيخ حبيب الرحمن الدرينجوي، والشيخ نذير أحمد الرحماني الأملوي – رحمهم الله.

---

[١] مصادر ترجمته: تراجم علماء أهل حديث: ١ / ٢٩٣ – ٢٩٨، المجلة التذكارية الصادرة بمناسبة انعقاد مؤتمر أهل الحديث في باكور ١٤٢٥ هـ = ٢٠٠٤م، ص: ٢٤٦.

وله مؤلفات عدة، منها: سوط النبي على المعترض الغبي، تحقيق أنيق، رساله لحميه، فتوى عن التصوير الفوتوغرافي، فيض ابتدائي، تقرير حاصل ومحصول، مسائل ستين. [1]

٧ – الشيخ عبد الغفور الجيراجفوري:

هو الشيخ عبد الغفور بن سخاوت علي الفاورقي، ويكنى بأبي الذكاء، من بلدة جيراجفور بمديرية أعظم كره، تبعد عن مباركفور بنحو عشرين كيلو مترا أو أكثر. درس على الشيخ حفيظ الله البندوي الأعظمي وعلى المحدث السيد نذير حسين الدهلوي، وغيره من علماء عصره. واشتغل بالتدريس والدعوة، ومن المدارس الإسلامية التي تولى التدريس فيها: المدرسة المعينية الجشتية بمدينة أجمير، والمدرسة العالية بكلكتا، والمدرسة الأحمدية السلفية بدربنجه، ودار العلوم ندوة العلماء بلكناؤ، ومدرسة دار الحديث الرحمانية بدهلي. ومن تلامذته: الشيخ عبيد الله الرحماني المباركفوري، والشيخ نذير أحمد الأملوي الرحماني، والشيخ شمس الحق السلفي، المدرس السابق بالجامعة السلفية بنارس. ويوجد له تعليقات على بعض الكتب مثل قاضي مبارك وحمد الله من كتب المنطق. توفي عام ١٣٧١ هـ = ١٩٥٤م، عن عمر يبلغ نحو (١٠٠) سنة. [2]

٨ – الشيخ أحمد بن حسام الدين المئوي:

هو الشيخ أحمد ابن الشيخ العلام حسام الدين، من كبار علماء مئونات بنجن، ولد عام ١٢٩٠هـ، ودرس الكتب الابتدائية والنحو والصرف على والده، ثم توجه إلى

---

[1] هذه الترجمة الموجزة مأخوذة من مقال ابن المترجم له محمد طاهر بن أبو طاهر البهاري، منشور في جريدة أهل الحديث، أمرتسر، الصادرة في: ٢ / ربيع الثاني ١٣٣٨ هـ = ٢٦ / ديسمبر ١٩١٩م. وقد عاش الشيخ أبو طاهر بعده إلى مدة. لكن لم أطلع على أية معلومة عنه غير ما هو موجود في المقال المذكور. وقد اطلعت عليه فجأة عند ما كنت أبحث عن بعض المعلومات في الأعداد القديمة للجريدة المذكورة. فغمرني الفرح والسرور، حيث أني كنت في البحث عن ترجمة الشيخ منذ مدة. فأوقفني الله على ذلك عن هذا الطريق. فله الحمد والمنة.

[2] مصادر ترجمته: نزهة الخواطر: ٨ / ٢٧٠، تذكره علماء حال، ص: ٤٨، تذكره علماء أعظم كدهـ، ص: ٢٢٩ – ٢٣٠.

مدرسة جامع العلوم بمدينة كانفور. ودرس على الشيخ أشرف علي التهانوي، والشيخ محمد إسحاق البردواني. ثم انتقل إلى المدرسة الأحمدية في آره، ودرس على الشيخ الحافظ عبد الله الغازي فوري الصحيحين وسنن الترمذي، وبعض كتب الأدب والمنطق، بعد ذلك وصل إلى دهلي، حيث درس على الشيخ المحدث السيد نذير حسين الدهلوي الصحيحين وسنن أبي داود، وأطراف الكتب الستة، وترجمة معاني القرآن الكريم، وتفسير الجلالين كاملا، وحصل منه على إجازة الحديث. ودرس في مدرسة ديوبند على الشيخ محمود الحسن، وفي غنغوه على الشيخ رشيد أحمد الغنغوهي.

وبعد إكمال دراسته انخرط في سلك التدريس، وعمل في عدة مدارس، منها: المدرسة المحمدية بمظفر فور بولاية بيهار، ومدرسة دار الحديث الرحمانية بدهلي، ومدرسة فيض عام مئو. وفي هذه المدرسة الأخيرة قضى معظم حياته، وخلف تلامذة لا يحصون، نبغوا في العلم والمعرفة، منهم: الشيخ المحدث عبيدالله الرحماني، والشيخ نذير أحمد الأملوي، والشيخ محمد أحمد الناظم، والشيخ عبد الرحمن النحوي، والشيخ عبد العلي المئوي، والشيخ مختار أحمد الندوي، رحمهم الله، والشيخ الوالد محمد الأعظمي، والشيخ ظهير الدين الرحماني، حفظهم الله.

توفي عام ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م، وكان عمره نحو ٧٦ سنة. رحمه الله.[1]

٩ – الشيخ محمد أصغر المباركفوري:

هو الشيخ محمد أصغر ابن الشيخ القارئ محمد علي ابن الحافظ عبد الرحيم ابن الحاج بهادر، كان يعرف بالحكيم لتعلمه الطب وممارسته له، وهو ابن أخ الشيخ المحدث عبد الرحمن المباركفوري مؤلف تحفة الأحوذي وتلميذه. درس عليه وعلى الشيخ محمد محمود المعروفي تلميذ المحدث المباركفوري. وقد لازم شيخه المباركفوري في حله وترحاله. فصاحبه في المدارس التي درّس فيها والمناطق التي كان يزورها مثل آره، وبتنه، وكلكتا، وغونده الخ. عكف على التدريس في مدرسة دار التعليم

---

[1] مصادر ترجمته: تراجم علماء حديث هند للنوشهروي: ١ / ٤٢٨ – ٤٣٠، جهود مخلصة، ص: ١٥٢، تذكره مولانا محمد أحمد ناظم، ص: ٤٤ – ٤٦.

مباركفور، واستمر عليه طول حياته. وكان يحسن تجليد الكتب، وقد تعلمه في أيام إقامته بكلكتا. توفي عام ١٣٤٦ هـ[١]. وقد درس عليه الشيخ عبيد الله الرحماني في المراحل الابتدائية في مدرسة دار التعليم بمباركفور.

١٠ – الشيخ الشاه محمد السريانوي:

هو الشيخ الشاه محمد ابن الحاج إسماعيل، من موضع سريان، يقع في شرق شمال مباركفور على عدة أميال. درس على الشيخ المحدث عبد الرحمن المباركفوري، والشيخ عبد العليم الرسول فوري، والشيخ محمد فاروق الجرياكوتي، والشيخ الحافظ دبتي نذير أحمد الدهلوي، كما تتلمذ على المحدث الشيخ السيد نذير حسين الدهلوي. كان ينتمي إلى مذهب الحنفية، ومعظم مشايخه من أهل الحديث، كما عمل مدرسا في مدارس أهل الحديث، منها مدرسة دار التعليم بمباركفور، حيث درس عليه فيها الشيخ عبيد الله الرحماني في المراحل الابتدائية. توفي عام ١٣٦٠ هـ عن عمر يناهض (٧٠) سنة. [٢]

(ملحوظة: من مشايخ الشيخ عبيد الله الرحماني أيضا: الشيخ عبد الرحمن النگرنهسوي، والشيخ غلام يحيى الكانفوري، والشيخ محمد إسحاق الآروي، رحمهم الله. ولكن لم أطلع على تراجمهم رغم جهد جهيد. ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا).

(يتبع)



---

[١] تذكره علماء مباركفور، ص: ٣٣٨.

[٢] تذكره علماء مباركفور، ص: ٢٨٤ – ٢٨٥.

التعليم والتربية

تنمية مهارة التحدث لمتعلمي اللغة العربية

الدكتور عبيد الرحمن طيب
جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي

المقصود من تعلم لغة هو: التحدث بها، والتعبير عن الأفكار، والعواطف، وتبليغ رسالة، فاللغة بهذا الاعتبار وسيلة التفاهم بين البشر بالتعبير، وأداة لا غنى عنها للتعامل بها في حياتهم.

مهارات التحدث:

للحصول على مهارات التحدث يجب اتباع خطوات تالية :

المعايشة مع الناطقين بها: تتعلم لغة أولا وبصورة طبيعية بالمعايشة مع الناطقين بها حيث يسود الجو الفطري الملائم ويضطر الإنسان بالاستماع إليهم ومشاهدتهم والمحادثة معهم، وفي كل آونة تطرق أصوات تلك اللغة آذانه من كل الجوانب، فهو يتحدث بها ويخطئ، والناس يتمتعون بلغته المكسورة وبلهجته الملتوية، حيث يضحكون منه مرة، وينبهونه على أخطائه أخرى. ولعل هذا ما يقصد به المفكر الفلسفي ابن خلدون إذ قال: "إن الطريقة الفضلى في اكتساب اللغة هي: أن تؤخذ سماعا بمعايشة أهلها الناطقين بها"[1]. وهذه الطريقة الأنسب والأفضل لتعلم لغة ما. وأما الطرق الأخرى والمواد المساعدة فهي طرق ثانوية وبديلة، إذ لا يمكن لكافة الناس أن يذهبوا إلى تلك البلدان التي تنطق فيها تلك اللغة المستهدفة. فوضعت الكتب من النحو والصرف، وجمعت المواد من النثر والشعر لتعليم تلك اللغة. وترجمت الكلمات والمواد الدراسية إلى لغة المتعلم لتساعده في فهم تلك اللغة وتعلمها.

---

[1] ابن خلدون : المقدمة ص : ٩٦٥.

الطرق البديلة:

الجو الاصطناعي: يجب خلق جو اصطناعي في حال عدم التمكن من معايشة أهل اللغة. وذلك حيث يتحدث المعلم بتلك اللغة مع الطلبة شيئا فشيأ، ويحث الطلبة على ألا يتحدثوا فيما بينهم إلا بتلك اللغة. إلى جانب ذلك يدير المعلم قروصا سمعية وبصرية متضمنة المواد الشيقة، مثل حكاية أو قصة أو فيلم ويعيد إدارتها مرة أو مرات، ويتوقف من حين لآخر للفت انتباه المتعلمين إلى الكلمات والجمل التي يجب أخذها في الحسبان وتعلمها.

الإذاعة: من الأدوات المؤثرة لتعلم لغة، الاستماع إلى برامج الإذاعات. ويمكن الحصول على جهاز الراديو بسهولة جدا، والمعلم قد يشير على الطلبة أن البرامج المذاعة في وقت كذا وكذا تكون أنفع لهم. كما لو يمكن للأستاذ أن يسجل بعض البرامج ويعيد عرضه على الطلبة ينفعهم كثيرا.

التلفزيون: قد تعم أجهزة التلفزيون كل بيت من بيوتنا تنشر البرامج ليلا ونهارا والفضائيات العربية تنشر كل البرامج من الأنباء والرياضة والأفلام الرومنسية والوثائقية، وكذلك برامج خاصة بالأطفال بلغة سهلة جذابة. فأي منا يجلس أمام التلفزيون العربي في غرفته يشعر كأنه في بلد عربي.

الجوال: بفضل تطور العلوم والتكنولوجيا وانفجار المعلومات لايوجد رجل غنيا كان أم فقيرا إلا وبيده جهاز للجوال. ولها سمات بارزة وذاكرة واسعة، حيث يمكن ادخار معلومات وبرامج وملفات كثيرة فيه، فيتمتع بالاستماع إليها ومشاهدتها أيضا. ويمكن له إعادة الاستماع، وقد يعود بنفع عظيم في تعلم لغة لو نحسن إلى استخدامه.

شبكة الإنترنيت: لعلها أغرب شيء أبدعه العالم الحديث، فالدنيا بيدك. انقر على موقع، يفتح لك عالم المعلومات لا تستطيع أن تجمعها، ولذا يقال: الدنيا تحولت

الآن إلى قرية صغيرة. وبالإضافة إلى كل ما هو متوفر على الانترنيت، توجد مواد تعليمية كافية فيها، وتبث الآن الإذاعات والتلفزيونات كل برامجها عبر هذه الشبكة الدولية. فالاستماع اليها ممتع والاستفادة منها سهل.

المحاكاة: نرى الأطفال يتعلمون اللغة بمحاكاة الكبار من الأم والأب والأقرباء والجيران. كذلك يجب لمن بلغ سن الرشد ويرغب في تعلم لغة أن يحاكي الناطقين بها، مما يثري لغته ويسرع عملية تعلمه ويجيد نطقه. ويجب عليه أن يدخر ذخيرة واسعة للكلمات والتراكيب اللغوية بالإضافة إلى تعلم القواعد الأساسية لتلك اللغة. وإن يتمكن من الكتابة والقراءة فالأحسن له أن يقرأ ما يتوفر لديه من المواد، ولكن تحت إشراف أستاذ إذ قد يتيه في غابة الكتب ويتعب نفسه بدون أي جدوى بل قد يمل ويهجر التعلم.

التعود على التحدث: التحدث يحتاج إلى التمرين والتدريب إلى درجة أن يصبح المتعلم متعودا على استخدام تلك اللغة، فالانسان إذا يصل إلى تلك المرحلة بعد تمارين شاقة والتدرب المكثف لمدة، لن ينساها أبدا ولا يتعتع في كلامه بل تجري الكلمات والعبارات على لسانه بسهولة وبصورة طبيعية. وللتعود على التحدث بلغة ، يجب عليه أن يعقد العزيمة على ألا يتحدث مع زملائه وأساتذته إلا بتلك اللغة. ويحاول أن يشارك في كل البرامج والندوات والنوادي الخاصة بتلك اللغة حيث يجتمع فيها الناس ويتحدثون بتلك اللغة. وبذلك نرجو أن نحصل على مهارات التحدث باللغة العربية والتعبير عن مشاعرنا وعواطفنا بصورة ملائمة.

الخلاصة:

تعلم لغة يعني القدرة على التحدث بها. وإلا فلا جدوى في تعلمها إذ هو الحاصل. ويجب لذلك الاستماع الجيد إلى الناطقين باللغة. ومحاكاة أصحاب اللغة الأصليين

كلمة ولهجة وأسلوبا. وفي حال عدم توفر الأساتذة الناطقين باللغة فالرجوع إلى الراديو والتلفزيون التي تنشر البرامج العديدة مثل الأنباء والرياضة والألعاب والبرامج الثقافية وما إلى ذلك. والاستماع إلى المسجلات السمعية والبصرية. وكذلك قراءة الصحف والجرائد والكتب العربية التي كتبها العرب وخاصة القصص والروايات والمسرحيات النثرية تقوي اللغة، ويكون من الأحسن أن يقرأ أحد قصة صغيرة ثم يحكيها بكلماته أو يقرأ مقالا حول الموضوع، ثم يلخصه بلغته شفويا، وفي مثل هذه الحالة لن يكون في حاجة إلى الكلمات والتعابير بل تسري الكلمات على لسانه بطريقة فطرية.

وللتحدث بلغة يجب التمرين عليه لدرجة أن يتعود على التحدث بتلك اللغة. وإذا يتعود أحد على التحدث بلغة فلن ينساها أبدا، ويتحدث بها بصورة طبيعية بدون أية صعوبة حتى لو يتركها لمدة. ويمكن أن يبدأ التحدث مع الأستاذ والزملاء وإجراء الحوار والمناقشات معهم.

وفي عصرنا هذا تتوفر تسهيلات الإنترنيت حيث يمكن لكل طالب أن يستمع إلى الإذاعات والتلفزيونات مباشرة وبلغة الناطقين بها، فليست الحاجة هنا إلا أن يشجع الطلبة على استخدام بل استغلال هذه الوسيلة لتقوية لغتهم تحدثا وكتابة.

خلاصة الكلام أن الاستماع والتحدث من أهم الأعمدة لتعلم لغة، ويجب اتخاذ خطوات لازمة لسد هذا الفراغ في مقرراتنا الدراسية وتوفير فرص مناسبة ومواد ملائمة للاستفادة منها وللتدريب على حسن الاستماع الذي يقود الطالب إلى التحدث بتلك اللغة إذ هو ثمرة تعلم لغة.

❖❖❖

فتاوى دينية

من فتاوى الشيخ عبيد الله الرحماني رحمه الله (*)

تعليق: الشيخ محمد أسلم المباركفوري
المدرس بالجامعة السلفية، بنارس

السؤال: بوّب الإمام الترمذي – رحمه الله – في كتاب الرضاع بقوله: "باب ما جاء في لبن الفحل". وقال بعد أن روى الحديث [1] فيه: "والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وغيرهم كرهوا لبن الفحل. والأصل في هذا حديث عائشة. وقد رخص بعض أهل العلم في لبن الفحل، والقول الأول أصح".

ما المقصود من هذا الباب، وما المراد بكراهية لبن الفحل، والرخصة فيه؟

(أحمد الله، سنتهال پر گنه)

(*) الشيخ المحدث عبيد الله الرحماني المباركفوري – رحمه الله – مؤلف مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح يوجد له فتاوى كثيرة، منها ما نشرت في الجرائد والمجلات، ومنها ما لم تنشر، وقد قامت جمعية أهل الحديث المركزية لعموم الهند بنشر مجلدين من هذه الفتاوى، من جمع وترتيب حفيد الشيخ الرحماني الأخ فواز بن عبد العزيز، خريج الجامعة السلفية. ومعظم هذه الفتاوى باللغة الأردية، ويوجد بعض الأجوبة باللغة العربية أيضا، وذلك حينما كان السائل يقدم سؤاله باللغة العربية أو كان الشيخ واثقا بأن السائل يتقن اللغة العربية فكان يجيب بتلك اللغة. فنختار من بين هذه الفتاوى العربية للنشر في صفحات المجلة عسى أن يستفيد منها القراء. (التحرير)

[1] الحديث المشار إليه هو: عن عائشة قالت: جاء عمي من الرضاعة يستأذن عليّ، فأبيت أن آذن له حتى أستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فليلج عليك، فإنه عمك. قالت: إنما أرضعتني المرأة، ولم يرضعني الرجل. قال: فإنه عمك فليلج عليك. أخرجه الترمذي (١١٤٨) وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٩١٧).

قال الطيبي: فيه دليل على أن لبن المرأة يحرم حتى تثبت الحرمة في جهة صاحب اللبن، كما يثبت في جانب المرضعة، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أثبت عمومة الرضاعة وألحقها بالنسب. شرح الطيبي على المشكاة (٧ / ٢٢٩٥).

الجواب: "باب في لبن الفحل، أي: باب في بيان حكم لبن المرأة التي يحصل في ثديها، بسبب جماع زوجها إياها، وحملها من مائه، هل ينتشر حرمة الرضاع إلى زوجها الذي هو سبب لبنها وإلى ذوي قرابته، أم تختص بالمرأة التي أرضعت وذوي قرابتها. فإضافة اللبن إلى الفحل من إضافة الشيء إلى سببه، وإنما احتاج الترمذي إلى تفسيره، لدفع ما يتبادر إلى الذهن من لبن الفحل، أنه اللبن الذي قد ينزل في ثندوة الرجل، مع أنه ليس بمراد قطعا، لأنه ليس ..... حقيقة.

قوله: كرهوا لبن الفحل، أي: جعلوه سبب الحرمة. قال أبو الطيب: أي حكموا بالحرمة من جهة لبن الفحل، واعتبروا حكم النسب منه [١] انتهى.

والمراد: أن اللبن الذي حصل في ثدي المرأة من جماع الرجل إياها وحملها من مائه، يحرم، أي: يثبت الحرمة في جهة الرجل الذي هو سبب هذا اللبن، كما يثبت الحرمة في جانب المرضعة، فإنه صلى الله عليه وسلم أثبت عمومة الرضاع وألحقها بالنسب، بقوله: يحرم من الرضاعة ما يحرم من الولادة [٢]. لأن سبب اللبن هو ماء الرجل والمرأة جميعا، فوجب أن يكون الرضاع منهما. ويثبت حكم الرضاع أي الحرمة لهما، كما يدل عليه حديث عائشة المذكور في الباب.

---

[١] القول بكراهية لبن الفحل وتحريمه هو قول جمهور الفقهاء، من الصحابة والتابعين، ورجحه الشيخ المباركفوري في تحفة الأحوذي (٢ / ١٩٨) طبع الهند، وحكى عليه الاتفاق ابن هبيرة في الإفصاح (٢ / ١٨٠) وانظر: مسائل الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله (٣ / ١٠٥٦م ١٤٥٣) وبرواية صالح (٣ / ١٩١م ١٦٢٨) ومسائل أحمد وإسحاق بن راهوية (٢ / ٥٦٨ م ٣٤٠١) والإنصاف (٩ / ٣٢٩) والمغني (٩ / ٥٢٠) وبداية المجتهد (٢ / ٣٨) والأم (١ / ١٦٩٥) والكافي لابن عبد البر (١ / ٤٤٣) وعون المعبود (٢ / ١٧٩).

[٢] أخرجه البخاري (٦٢٤٦) ومسلم (١ / ١٤٤٤) من حديث عائشة، وأخرجه البخاري (٢٦٤٥) من حديث ابن عباس بلفظ "يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب".

قوله: وقد رخص بعض أهل العلم في لبن الفحل [١]، أي: لم يحكموا بالحرمة من جهته، ولم يعتبروا حكم النسب منه، فتختص الحرمة عندهم بالمرضعة. ولا تثبت لصاحب اللبن وذوي قرابته، فجعلوا اللبن الذي ارتضعه الرضيع من ثدي المرأة، كالعدم بالنسبة إلى زوج المرضعة، الذي هو سبب لبنها، فلم يعدوه شيئا في حقه، ولم يثبتوا النسب له. (وعلى هذا فيجوز عندهم لزوج المرضعة، أن ينكح الرضيع إن كانت صبية لكونها أجنبية في حقه عندهم) ظنا منهم أن اللبن لما كان في ثدي المرأة وارتضعه الرضيع، فالتعلق أي: الجزئية، إنما حصلت للمرضعة، ولمن كان منها، كأبنائها وبناتها، ولمن كانت هي منه، كأبيها وجدها وأولادهما: من إخوتها وأخواتها وأعمامها وعماتها، فأما زوجها فليس له دخل في إرضاع الصبي، حتى تتعدى الحرمة والجزئية إليه، وإلى آبائه وأبنائه وإخوانه. فلما كان الأمر كذلك، كان أخو زوج المرضعة أجنبيا من الرضيع كزوجها. والحاصل أنهم نظروا إلى أن اللبن لا ينفصل من الرجل، وإنما ينفصل من المرأة، فخصوا الحرمة بالمرضعة وأصولها وفروعها، ولم يقولوا بانتشارها إلى الرجل وأصوله وفروعه. والجواب عن هذه الشبهة قد ذكره الشيخ في شرح الترمذي [٢]، فلا حاجة إلى ذكره ههنا.

(مجلة مصباح، بستي، فتاوى شيخ الحديث
المباركفوري: ٢ / ٢٣١ – ٢٣٣)

❖❖❖

---

[١] وهو مروي عن ابن عمر وأبي الزبير ورافع بن خديج وغيرهم، ومن التابعين عن سعيد بن المسيب والقاسم، وأبي سلمة والشعبي والنخعي وغيرهم بدليل الآية: {وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم} أجيب عنه بأن تخصيص الشيء بالذكر لا يدل على نفي الحكم عما عداه، ولاسيما وقد جاءت الأحاديث الصحيحة. انظر: تحفة الأحوذي (٢ / ١٩٨، طبع الهند).

[٢] تحفة الأحوذي (١ / ١٩٨، طبع الهند).

الشعر العربي

مكانة شوقي وحافظ بين الشعراء

د. إنعام الحق
جامعة شيتا غونغ، بنغلاديش

تقديم:

من الواقع أننا لا نعرف شاعرا في العصر الحديث بين رجال الشعر من العرب من شغل به الناس في أثناء حياته وبعد مماته مثل شوقي وحافظ، حيث بادر إليهما عدد ضخم من رجال البحث والأدب بالدراسة والنقاش عبر العصور، حتى إذا برزت النهضة النقدية بكل سمات إلى جانب النهضة الأدبية – لما كان النقد تابعا للأدب يترسم خطاه – وظهرت طائفة من النقاد العباقرة التي توفرت لديها قواعد خالدة ومعايير قيمة لاستقراء الإنتاجات الأدبية ودراسة النصوص الفنية، تباينت الآراء حول أمير الشعراء شوقي كما تناقضت الأحكام حول شاعر النيل حافظ. وأقبل النقاد إلى تنقيب آثارهما، وانصرف بعضهم كالعقاد والمازني والشكري وغيرهم عن إلقاء الثناء عليهما بل أخذوا يوجهون إليهما انتقادات عارمة غير منصفة، ومن الحق أن انتقاداتهم قد أعانتهما لكي يسيرا على الطريق السديد كما هدتهما إلى نواحي جديدة ومجالات واسعة، مهما يكن من أمر فإن اعتقادنا جارم في أن مكانتهما العالية فى حقل الأدب ما زالت ولا تزال مدى الدهور، وسيظل كل منهما من أظهر أعلام الحقبة الأخيرة المنقرضة، وسيبقى اسمهما خير ممثل للمرحلة الأولى من نهضتنا الحديثة، كما تبقى آثارهما حية خالدة لاتمحى. ونعم ما قال الشاعر:

وآثـار الرجـال إذا تنـاهت إلى التاريخ، خير الحاكمينا [1]

---

[1] حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه (بيروت: دار الجيل، ١٩٩١م) ص ٥٠٢.

جاء شوقي وحافظ والشعر العربى ينتقل عند محمود سامى البارودى [١] من فلك الجمود والركود إلى فلك التحرر والتعبير الصادق، فكان كالشجرة الطيبة تنبت فى الأرض الكريمة، فتثبت فيها جذورها، وتخرج منها ساقها وأغصانها، وتستوى أوراقها وأزهارها وثمارها. وكأن القدر ساق البارودى ليكون رائد الطريق لشوقى وحافظ، فلم يلبث حين فتح كل منهما عينيه على الوجود الفنى أن رأى مصباحه يضيئ، فسار على هديه، واحتذى أساليبه ونماذجه وأسهم فى الشعر العربى إسهاما حتى استطاع أن يؤطد مكانته بين الشعراء اللامعيين عربا وغربا، وأن يحتل مكان الزعامة فى الشعر العربى الحديث. [٢]

أ – مكانتهما بين شعراء عصرهما:

أولا - الاحتفاظ بالعناصر التقليدية والقوالب القديمة

لا شك فى أن كلا من البارودى وصبرى وحافظ وشوقى ومطران وغيرهم من الشعراء المعاصرين قد احتفظ بالعناصر الشعرية التقليدية واحتذى للأساليب والقوالب القديمة، لكنهم استطاعوا أن يكونوا أسلوبا أصيلا، أسلوبا لا يتحرر من القديم، ولكن فى الوقت نفسه يعبر عن الشاعر فى عصره، وهو أسلوب يقوم على الجزالة والرصانة والمتانة والقوة، وكان شوقى فى ذلك يقترب من ذوق البارودى أكثر مما يقترب حافظ. وليس معنى ذلك أن صياغة شوقى لا تفترق عن صياغة البارودى، فشعره أكثر صفاء وعذوبة من موسيقى البارودى لأنه كان يضيف إلى هذا الاستغلال القديم كثيرا من الصور المبتكرة.

أما حافظ فكان مثل البارودى لا يتجه إلى الأدب الأوربى ولا يقلده، بل كان اتجاهه إلى الأدب القديم، مع ذلك لم يتأخر عن عصره وروحه، بل ربما كان متفاعلا مع روح عصره وأمته. والحق أن البارودى كان أوسع معرفة بالشعر العربى القديم، كما كان قد ثقف آداب اللغتين الفارسية والتركية. أما شوقى ومطران فقد أتقنا الفرنسية وآدابها وأفادت منه طبيعتهما الأدبية، وأما حافظ فقد اضطرته ظروفه المادية

---

[١] لقب البارودي نسبة إلى "إيتاى البارودي" من أعمال مديرية البحيرية التي التزمها أحد أجداده، د. عبد المنعم خفاجي، المرجع السابق، ج ٥ ص ٩٨.

[٢] د. شوقي ضيف، البارودي رائد الشعر الحديث (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٤م) ص ٧.

القاسية أن يكون أقل ثقافة من زميليه، ومع ذلك فلا بد أن نجل عصاميته إذ كان شاعرا بطبعه لا بثقافته، واستطاع أن يثبت للمنافسة مع شوقى ومطران. [1]

ثانيا – التجديد في العمل الشعري

لا شك فى أن حافظ وشوقى وغيرهما من المعاصرين قد حاولوا أن يحرروا الشعر من سيطرة التقليد وأن ينهضوا بتوجيهه إلى التجديد، ولكنهم ليسوا سواء فى هذا المجال، بعضهم ظفر فيه بمبلغ كبير، وبعضهم بمبلغ ضئيل. ونحن نلاحظ أن شاعرنا مطران قد تفوق فى حقل التجديد فى الشعر على جميع شعراء عصره فضلا عن شوقى وحافظ، وأما الرصافى والزهاوى وغيرهما من شعراء عصر شوقى وحافظ فقد ثاروا على قسم من التقاليد ولكنهم بقوا محافظين على قسم من الأصول القديمة، على كل حال إن كلا منهم كان عاملا فعالا فى توجيه الشعر شطر الأجواء الفسيحة والمعانى الجديدة وإن لم يستطع التملص تماما من الأغراض والأساليب القديمة، كما كان دافعا قويا لثورة التجديد وإن لم يقدر إيصالها إلى الهدف المنشود. وكان أيضا ممهد الطريق لمن جاء بعد فقاموا بها إلى الغاية المرجوة.

ثالثا – الوصف فى أبواب الشعر لاسيما الطبيعة

الوصف شائع فى شعر شوقى وحافظ كما هو شائع فى شعرغيرهما من المعاصرين من أمثال الرصافى وخليل مطران. أما الوصف فى شعر الرصافى فهو عنده ركيزة يعتمد عليها لتكثيف المادة الجمالية فى ما يقول، فيستحث خياله لاقتناص الصور، ويوجه اهتمامه إلى الجديد منها، عله يجارى أحمد شوقى وخليل مطران، وأنى له ذلك. وهو الشاعر الذى لا تستجيب له اللفظة الشعرية ولا التعبير الشعرى إلا فى حالات محدودة، والذى لا تصفو له الأخيلة التصويرية إلا فى لمحات معدودة، وهو مع ذلك يصف ويكثر من الوصف، ولاسيما فى مواقف البؤس والشقاء، ويتعمد إثارة العاطفة كما يطمح فى إثارة الإعجاب. ونرى الرصافى يصف غروب الشمس كما نرى خليل مطران يصف الشمس الغاربة، والفرق – على قول حنا الفاخورى – شاسع بينه

---

[1] د. حسن شاذلي فرهود وأصحابه، الأدب والنصوص للصف الثالث الثانوي (المملكة العربية السعودية: وزارة المعارف، ١٩٨١م) ص ٨٤.

وبين مطران صاحب قصيدة "المساء". لقد رأى مطران فى انحدار الشمس جنازة للنور والوجود، ورأى فى تقطرها آخر دمعة للكون تمتزج بآخر دمعة له لرثائه؛ أما الرصافى فقد حاول التأثير بمشاهد مستعارة بعيدة عن نفسه، وأقحم فى وصفه صورة اليتيم المظلوم ليصبغ اللوحة الوصفية بدمه، ويبعث فى الشعر بعض الطاقة التأثرية، وعبثا حاول ذلك لأن اللوحة بقيت نراها بالعين ولا نراها بحاسة الوجدان. [١]

وأما شاعرنا حافظ فقد تخلف فى وصف الجمال الطبيعى تخلفا باهرا عن هؤلاء الشعراء، نعم، أن له براعة كبيرة فى مجال وصف مواقف البؤس والشقاء وإن لم يبلغ فيه مبلغ الرصافى.

رابعا – التعبير عن الشعب

إذا حاولنا لتعيين المكانة للشعراء الثلاثة (شوقى وحافظ ومطران) فى مجال التعبير عن الشعب فى شعرهم نلاحظ أنه كان أكثر الثلاثة السابقين نزولا إلى الشعب وقربا منه حافظ، إذ كان يقترب منه فى نشأته وحياته، ولم يكن من بيئة أرستقراطية. أما شوقى فكان أكثر الثلاثة ارتفاعا فى أساليبه، ومع ذلك لا نزال نجد عنده فى بعض الأحيان كما نجد عند مطران وحافظ ألفاظا صحفية مما يدور على ألسنة الصحفيين. وقرب الشعراء الثلاثة على هذا القياس من الشعب جعلهم لا يغربون فى معانيهم ولا يتعمقون فى طبقاتها وأغوارها إلا قليلا، حتى لا يوردوا على الناس ما لا يفهمون، وحتى يخاطبوهم على قدر عقولهم. ومطران من هذه الناحية أبعد الثلاثة عن الشعب إذ لا يزال يتعمق فى المعانى ولا يزال يطلب الفكرة البعيدة الغور، وكان حافظ يقف فى الطرف المقابل من الوضوح والمعانى القريبة لا يكلف نفسه عمقا ولا بعدا، بينما يقف شوقى فى مرتبة وسطى، فلا يدنو إلى درجة الإسفاف ولا يعلو إلى درجة الإغراب على نحو ما يعلو مطران إلا نادرا وفى الحين بعد الحين. [٢]

ويرى الأستاذ العقاد أن البارودى وأمثاله من شعراء الطليعة كشوقى وإسماعيل صبرى وحفنى ناصف لم يعرضوا لنا فى شعرهم من معارض الشعور فى الحياة

---

[١] حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، ص ٥٩٠.

[٢] د. شوقي ضيف، الأدب العربي المعاصر في مصر (مصر: دار المعارف، ١٩٧٤م) ص ٤٩.

الشعبية، ويعزو ذلك إلى أنهم عاشوا فى حيز الوظائف ولم يعيشوا فى غمرة الأمة بين دوافع المد والجزر وعوامل الشدة والرخاء. [١]

ب – آراء الأعلام فى تعيين مكانتهما بين الشعراء المعاصرين

رأى الدكتور طه حسين:

كان للدكتور طه حسين رأى خاص فى شعر حافظ وشوقى وخليل مطران، وقد أوردت له صحيفة الأهرام الحديث التالى: "لقد عرفت مطران، معجبا بشعره، مؤثرا له على شعر المعاصرين جميعا فى الأقطار العربية كلها لم أستثن منهم أحدا ولن أستثنى منهم، وكنت أسمع شعره وشعر حافظ وشوقى، فأوثر شعر مطران فى وجه حافظ وشوقى لا أحتاط إلا فى ديباجته التى كنت أراها مقصرة عن معانيه بعض التقصير. وكان حافظ وشوقى يسمعان ويعرفان ولا ينكران أو لا تنكر ألسنتها على كل حال؛ وكنت أزعم لهما جميعا أن مطران فى المحدثين كأبى تمام فى العصر القديم، وإنهما وغيرهما من الشعراء يعيشون حول مطران كما كان شعراء العراق والشام يعيشون حول أبى تمام. وكنت أهون على حافظ فأحدثه حديث البحترى حين قال فى بعض مجالسه، وقد ذكر أبو تمام أنه الأستاذ والرئيس، والله ما أكلت الخبز إلا به؛ فقال له المبرد، وكان حاضرا مجلسه، لله أنت يا أبا عبادة، أبى الله إلا أن تكون كريما من جميع جوانبك – أو كلاما نحو هذا – وكان حافظ رحمه الله، إذا سمع منى هذا الحديث أغرق فى ضحكه العريض العميق، وقال: ليكن مطران ما شئت فحسبي أن أكون كالبحتري". [٢]

وقال الشاعر أحمد زكى أبو شادى:

نبغ فى عصر واحد شوقى ومطران وصبرى وحافظ، وكان لمطران رسالة مستمدة من الإنسانية أولا ومن القومية ثانية، إلى جانب شعره الوجدانى وشعر الطبيعة المنوع؛ وكانت رسالة إسماعيل صبرى وجدانية وطنية وأقلها الجانب الوطنى، وأغلبها شعر العواطف المترفة التى لا تحمل أية رسالة فوق المتعة الموسيقية والأناقة الفنية للترويح

---

[١] عباس محمود العقاد، شعراء مصر وبيناتهم في الجيل الماضي (القاهرة: ١٩٣٧م) ص ١٤، د.عبدالحميد سند الجندي، حافظ إبراهيم شاعر النيل (القاهرة: دار المعارف ١٩٥٩م) ص ٨٧.

[٢] حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه، ص ٥٣١.

عن النفس. وكانت رسالة حافظ وطنية شعبية إلى أبعد غاية، وإن حفظت له نماذج رائعة فى شكوى الزمان. وأما رسالة شوقى فكانت أساسيا التغنى بمجد مصر، ثم بتاريخ الإسلام والعرب، تسعفه فى كل ذلك ثقافته التاريخية وقربه من ولى الأمر فى مصر، واستجابة لميوله". [1]

قال الدكتور شوقي ضيف:

إن شاعرنا صبرى قد عاش فى عصر البارودى وشوقى وحافظ، وقد تألق نجم البارودى وهو لا يزال فى مهده، مع ذلك نحن نلاحظ أنه لا يجرى فى إثر البارودى كما جرى حافظ وشوقى، فقد كانا من طبيعتين مختلفين، أما البارودى فكان يعنى بمعارضة القدماء، ويحاول أن يتخذ لنفسه إطارهم الجزل الرائع وأن يعيد للشعر سيرته القديمة من جلال الأسلوب وفخامته، كما يحاول أن يجدد فيضمن شعره خواطر نفسه وشجونها وأحداث بيئته وشؤونها. وقد تبعه حافظ وشوقى.

أما صبرى فبدأ حياته الفنية مقلدا، ولكنه انحرف منذ نضجه الفنى عن طريق البارودى وصاحبيه حافظ وشوقى، فلم يكن يعنى مثلهما ومثل أستاذهما بمحاكاة القدماء، بل كان يرسل نفسه على سجيتها، فالشعر ينبغى أن يكون صورة صاحبه قبل أن يكون صورة القدماء، وينبغى أن يعبر عن حياته وأفكاره بدون معوقات من ألفاظ بيانية أو أساليب قديمة، وحسب الشاعر أن ينظم البيتين والأبيات القليلة يسجل خاطرة أو لمحة أو معنى من المعانى، وبذلك لم يكن من أصحاب القصائد الطوال، وإنما كان من أصحاب المقطعات والقصائد القصار.مهما يكن من أمر فإن شاعرية صبرى لم تبلغ إلى ما بلغته شاعرية البارودى فضلا عن شوقى وحافظ. [2]

يرى حافظ نفسه شاعر العصر الذى لا يدانيه شاعر آخر إلا شوقى، حيث نراه يقول:

لم أخش من أحد فى الشعر يسبقنى
إلا فتى مـــا لـه فـــى السـبـــق إلاه [3]

---

[1] د. عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب في مصر (بيروت: دار الجيل ١٩٩٢م) ج ٥ ص ١٧٨.

[2] د. شوقي ضيف: داراسات في الشعر العربي المعاصر (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٩م) ص ٣٣ – ٣٤.

[3] ديوان حافظ إبراهيم، ت. أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري (بيروت: دار الكتب المصرية، ١٩٦٩م) ج١ص ٢١٣.

أما من عداه من كبار شعراء ذلك العصر فلا يبلغون شأوه فى نظره. ولعل هذا لا يخرج عن الواقع تماما ، لأن حظ مصر من الشعر من الشعر فى عصره كان قليلا. فالبارودى قد أدركته الشيخوخة وأخذ يدلف إلى القبر، وإسماعيل صبرى كان يجيد فى نواح خاصة، كالتعبير عن المعانى الدقيقة والشعور النفسى الدقيق فى مقطوعات صغيرة يصور به أحاسيسه ومشاعره، ولم يكن يحترف الشعر كما كان يحترف حافظ وشوقى، وعبدالمطلب كان شعره عربيا أعرابيا لا يساير العصر الذى يعيش فيه. والشاعر أحمد محرم قد قرض الشعر فى أغراض محدودة ولم يكن سيره فى آفاق واسعة من الشعر، وشاعرنا ولى الدين يكن قد برع فى الشعر الاجتماعى والسياسى حيث قد واجه أمور المجتمع بصراحة وجرأة واستقامة كما واجه التقاليد والظواهر والخرافات بعنف وشدة ولكن الفنون الأخرى للشعر لم يستطع أن يثبت فيها براعته مثل حافظ فضلا عن شوقى. وأما خليل مطران فقد فاق حافظا فى عدة جوانب كما فاقه حافظ فى جوانب عديدة.

هكذا نلاحظ أنه ظهر فى عصر شوقى وحافظ كثير من فحول الشعراء الذين قاموا بإسهام كبير فى نهضة الشعر وتطوره وإن لم يكونوا فى ذلك بمنزلة سواء، فهم كانوا يمثلون مذاهب مختلفة ونزعات متباينة، ومواهب متعددة، وثقافات متفاوتة: منهم من جمع إلى ملكة الشعر التضلع فى العلم والإلمام باللغة وفنونها، والإحاطة بأدب المتقدمين، ومنهم من ليس له من دراسة اللغة وعلومها إلا قدر ضئيل، ومنهم من اقتصر فى تكوين ملكته الأدبية على طائفة من الشعر فى بعض عصوره الماضية الجاهلية أو الإسلامية أو العباسية أو ما بعدها، ومنهم من عكف على دراسة أحد فحول الشعراء فاتخذه إماما، ومنهم من أخذ بحظ وافر من الآداب الأجنبية، ومنهم من يميل إلى جزل الأساليب وفخم الديباجة، ومن يؤثرالرقيق الرشيق منها، ومنهم من يقصد إلى سيء الأغراض ونبيلها، ومن يتجه إلى هينها وهزيلها، ومنهم من تلمح فى شعره شخصية واضحة النهج ثابتة، ومن نجد فيه آثار المحاكاة، والاقتباس، والاستمداد من معين

غيره، ومنهم شعراء العواطف وأزاهير الربيع، ومنهم من لم يزل الشعر العربى لهم إماما ، ومنهم من ينأون عن الماضى وأساليبه وأخيلته ، لا يريدون أن تفرض عليهم، فهم يريدون أن يهيموا فى أودية كل جديد ، ويجاروا الأدب الغربى فى بعض مناحيه وأخيلته وموضوعاته، ولو حاد بهم هذا عن جزل النسج وواضح النهج ورصين الأسلوب.

ولكل من هؤلاء وجهته وشخصيته الشعرية وأثره فى الأدب الحديث، وزعيمهم وصاحب الفضل عليهم هو البارودى، لسبقه وبدئه فى التجديد فى الشعر، إذ رد الفحولة العربية إلى أسلوبه ومعناه، والتالى فى الرتبة حافظ إبرهيم، لتناوله جميع أغراض المجتمع، وتصويره ما يدور بين الناس من المعانى فى ديباجة قوية ونسق رائع. ويليهما محمد حفنى ناصف لسهولة شعره، وكثرة ملحه ونكته. ومن المحقق أن رجال الأدب والتاريخ قد أجمعوا على أن شوقى على رأس هؤلاء الشعراء كلهم حيث وضعوا قاطبة على مفرقه تاج إمارة الشعر بقول حافظ نيابة عن جميعهم:

أمير القـوافـى قـد أتيت مبـايعـا

وهذه وفود الشرق قد بايعت معى [1]

د – مكانة الشاعرين بين المعاصرين واللاحقين

لا شك في أن شوقي وحافظ قد ساراعلى هدى أستاذهما البارودي في العمل الشعري، واحتلا بعبقريتهما الشعرية الفذة منزلة مرموقة في عالم الشعر العربي الحديث، وصارا من أعظم دعائم مدرسة النهضة التى تزعمها البارودي. وهي مدرسة بعثت الشعر من مرقده، ونهضت به في الوضوح والتجربة والمعانى والتعبير، ووصلته بعصور الازدهار ودفعته إلى الأمام خطوات كبيرة. فظهرت فيه فنون جديدة غير الشعر الغنائي كالشعر الملحمي والشعر القصصي كما ظهرت فيه نزعات ومدارس جديدة، وقد ظل لهذه المدرسة السيطرة بريادة شوقي وحافظ على الشعر العربي الحديث حتى الثلث الأول من القرن العشرين لا فى مصر وحدها ، بل فى جميع الأقطار العربية، لما

---

[1] ديوان حافظ إبراهيم: ج ١ ص ١٢٨.

نهضت به من مزاوجة رائعة بين عناصر شعرنا التقليدية والعناصر التجديدية، فلم يندثر عندها ماضينا، بل عاد حيا مونقا، وأخذت تضطرم من خلاله مشاعرنا الوطنية والسياسية والاجتماعية اضطراما لا يزال يروع العرب فى كل مكان، ومن ثم كثر أتباعها ومن يستظلون بظلها حتى اليوم من مثل شفيق جبرى فى سوريا وبشارة الخورى فى لبنان، ومن مبرزيهم فى مصر عزيز أباظة الذى توفر مقتديا بشوقى على الشعر التمثيلى.

وكلا الشاعرين خاصة شوقي لا يظل بلوائه هذة المدرسة وحدها، بل يظل أيضا مدرسة الجيل الجديد التى نشأت عند شكرى والمازنى والعقاد. وحقا هى تنزع منزعا تجديديا يبعدها عن مدرسة الشاعرين، ولكن مما لا شك فيه أن قضائهما على الصورة العثمانية المسفة هو الذى هيأ لهذه المدرسة أن تمضى نحو الجديد الذى تتطلع إليه، بما مهد لها من فك الشعر العربى من أغلاله وإعداده ليودع فيه الشاعر مشاعره وأحاسيسه، وأيضا بما وصل بين الشاعر الحديث والشعراء القدماء الذين يرعون بصياغاتهم ونزعاتهم التصويرية والاجتماعية والفلسفية، ومن ثم كثرت مقالات المازنى والعقاد وشكرى جميعا عن بشار وأبى تمام والمتنبى وأبى العلاء المعرى، واستهواهم ابن الرومى فأكثروا من الحديث عنه، وخصه العقاد ببحث طويل رائع.

وعلى هذا النحو أن شوقي وحافظ كما يظلان مدرسة الجيل الجديد يظلان أيضا مدرسة النزعة الرومانسية التي ازدهرت مع أوائل العقد الرابع من القرن العشرين، وقد عكف كثيرون من هذه المدرسة على ينبوع شوقى الموسيقى يستمدون منه ألحانهم وأنغامهم على نحو ما يصور ذلك على محمود طه. هكذا نلاحظ أن هذه المدرسة تتأثر بهما عن طريق حوارييهما، على نحو ما توضح لنا ذلك أشعار إبراهيم ناجى الذى صرح مرارا بأنه يتخذ خليل مطران مثلا أعلى له يعيش فيه. والحق أن لواء كل من شوقي وحافظ يظل جميع الأجيال التالية له مهما اختلفت مدارسها بين المحافظة والتجديد.

❖❖❖

من أخبار الجامعة السلفية

بداية الفصل الدراسي الثاني بالجامعة:

انتهت اختبارات نصف السنة بالجامعة السلفية في يوم الخميس: ٢ / ٣ / ١٤٣٦هـ = ٢٥ / ١٢ / ٢٠١٤م، وكانت قد بدأت في يوم السبت: ٢٠ / ٢ / ١٤٣٦ هـ = ١٣ / ١٢ / ٢٠١٣م. وقد شارك في هذه الاختبارات طلاب المدارس التابعة للجامعة من مختلف ولايات الهند إلى جانب طلاب الجامعة ويبلغ عدد جميع المشاركين في الاختبار إلى نحو ألف.

وكانت هناك إجازة بعد الاختبار من يوم الاثنين: ٦ / ٣ / ١٤٣٦ هـ = ٢٩ / ١٢ / ٢٠١٤م، وانتهت في يوم الخميس: ٢٣ / ٣ / ١٤٣٦ هـ = ١٥ / ١ / ٢٠١٥م، فصارت الإجازة لمدة (١٨) يوما. يجدر بالذكر أن منطقة شمال الهند تعاني هذه الأيام أشد أنواع البرد. وتعطلت الدراسة في معظم مدارس وكليات المنطقة. وقد أمضى الطلاب والمدرسون هذه الإجازة في بيوتهم مع أسرهم، ثم رجعوا إلى الجامعة، وبدأ الفصل الدراسي الثاني بالجامعة في يوم السبت: ٢٥ / ٣ / ١٤٣٦ هـ = ١٧ / ١ / ٢٠١٥م. ويعقد الاختبار السنوي في النصف الثاني من شهر مايو ٢٠١٥م بمشيئة الله تعالى.

طلاب الجامعة السلفية يشاركون في المقابلة الشخصية:

قام وفد موقر من أساتذة الجامعة الإسلامية (المدينة المنورة) بزيارة جامعة الإمام البخاري بمدينة كشن غنج بولاية بيهار في يوم الجمعة: ١٧ / ٣ / ١٤٣٦ هـ = ٩ / ١ / ٢٠١٥م. وأجرى الوفد مقابلة شخصية للطلاب الراغبين في الالتحاق بالجامعة الإسلامية. وعلى طلب من مدير جامعة الإمام البخاري فضيلة الشيخ مطيع الرحمن بن عبدالمتين المدني شارك عدد من طلاب الجامعة السلفية في هذه المقابلة، نسأل الله لهم التوفيق والنجاح.

يجدر بالذكر أن أكثر من أربعين طالبا من خريجي الجامعة السلفية يواصلون دراستهم بالجامعة الإسلامية في مراحل البكالوريوس والماجستير والدكتوراه. وهناك عدد غير قليل من خريجي الجامعة السلفية يواصل دراسته أيضا في جامعات أخرى بالمملكة المحروسة مثل جامعة أم القرى بمكة المكرمة، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وجامعة الملك سعود بالرياض.

❖❖❖